المُذَاكَرَةُ وَأَثَرُهَا فِي إِحْيَاءِ الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ وَحِفْظِهِ

دِرَاسَةٌ فِي المَفْهُومِ والضَّوَابِط والأَثَرِ

إعداد الدكتور:

مُحَمَّد إسْمَاعِيل مُحَمَّد الدِّيهِي

الأستاذ المشارك بقسم القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

كلية العلوم والآداب - جامعة طيبة - المدينة المنورة

تخصص الحديث وعلومه كلية أصول الدين جامعة الأزهر القاهرة.

الملخـــص

فهـذا البحـث المعنـون ب المُـذَاكَرَةُ وَأَثَرُهَـا فِي إِحْيَـاءِ الحَـدِيثِ النَّبَـوِيِّ وَحِفْظِـهِ "دِرَاسَـةٌ فِي المَفْهُـومِ والضَّـوَابِط والأَثَـرِ. جـاء في مبحثـين: المبحـث الأول: تنـاول مرتبـة المـذاكرة، وحكمهـا في الشـرع، وثمارهـا، وضـوابطها وأطرهـا الحاكمـة. والمبحـث الثـاني: تنـاول بيـان أثـر المـذاكرة في إحيـاء الحـديث النبـوي في حيـاة النبـي ﷺ وصـحابته والتـابعين لهـم بإحسـان. وهـدفت هـذه الدراسـة إلـى الوقـوف علـى طرائـق الصـحابة والتـابعين فمـن بعدهم رجالًا ونساءً في مُذاكرة العلم ومُدارسته، وسُبل إحيائه، وحفظه.

كمـا هـدفت إلـى تقـديم النمـوذج لشـبابنا حتـى تُسْـتنهض الهِمـم، وتُحمـل الرَّايـة، وتُنشـر السُّـنة، وتُـدحض الشُّـبهة، ويُوقَـف الشـباب علـى شِـعاب العلـم، وأوديتـه، وربابنتـه. كمـا خلصـت الدراسـة إلـى نتـائج أهمهـا: أن المـذاكرة كانـت حاضـرة في المـنهج التعليمـي للنبـي ﷺ وبقـوة، وكانـت حاضـرة كـذلك في دائـرة اهتمـام السـلف جـيلًا بعـد جيـل – خاصـة جيـل الصـحابة ﷺ الـذين دفعهـم الحـرص علـى حفـظ السُّـنة أن مارسـوا المـذاكرة وطبقوهـا مـع شـيوخهم، وأقـرانهم، وأتـرابهم، وتلامـذتهم، والنـاس عامـة، لـيلًا، ونهـارًا، حِـلًا وترحـالًا، ونبهـوا علـى فضـلها وأهميتهـا. وهـي كـذلك كانـت حاضـرة عنـد علمـاء الحـديث ومنـاهجهم، فلقـد كـان لهـا أكبـر الأثـر في إحيـاء الحـديث النبـوي وحفظـه. وخلصـت إلـى أن دور المـرأة في مـذاكرة الحـديث النبـوي وحفظـه كـان لـه أكبـر الأثـر في إحيائه.

الكلمـات المفتاحيـة: المـذاكرة – إحيـاء – الحـديث النبـوي – المفهـوم – الضـوابط– الأثر.

Discussions of Hadith and their Impact on Reviving and Preserving Prophetic Traditions: a Study of the Concept, Delimitations and Impact

Mohammed Ismail Mohamed Al – Dihy
Department of Hadith and its Studies, Faculty of Osoul El-Deen- Cairo, Al-Azhar University
&
Visiting Professor at
Department of the Holy Quran and Islamic Studies, Faculty of Sciences and Arts, Taibah University – Madinah- KSA
E-Mail: mohammad.dihy@gmail.com

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

Abstract:

This research, entitled "Discussions of Hadith and their Impact on Reviving and Preserving Prophetic Traditions: a Study of the Concept, Delimitations and Impact", is divided into two sections; the first section sheds light on the status of discussion, its legal provision, its byproducts, its delimitations and the governing principles. The second section displays the impact of discussion upon reviving and preserving the prophetic traditions during the life of Prophet Muhammad (Peace be upon him), his companions and the followers. This research has two objectives; first, it examines the methodologies of discussing, studying, reviving and preserving *Hadith* by Prophet Muhammad's companions and their followers be they men or women. Second, the research aims at introducing a model to our youth so as to inflame their enthusiasm to carry the banner, spread the Sunnah, refute the false allegations raised against Sunnah, and seek knowledge eagerly in all fields. The research has found out that discussion was potentially present in the educational approach of Prophet Muhammad (Peace be upon him) and the successive generations of his followers; especially the generation of his companions who were keen to preserve the Sunnah by practicing discussion and implementing it through their interactions with their Sheikhs, peers, fellow friends, their disciples and all people in general day or night, on travel or settlement in order to draw attention to its importance and virtues. Discussion is also present with the scholars of *Hadith* and in their methodologies for its great impact upon reviving and preserving the *Hadith*. The research concluded that women had their effective role in discussing, reviving and preserving *Hadith*.

Key Words: discussion, reviving, *Hadith*, concept, governing principles, impact.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

الحمد لله الذي اصطفى للسنة النبوية عبادًا تواصوا على مَرِّ الدُّهور وكَرِّ الأيام بحفظها، وإحياء ما انْدرس منها، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحبها، وأزواجه وصحبه ومن تبعهم، حاملوها، ومبلغوها، ومطبقوها.

أما بعد؛

فالمتابع لمناهج التعليم في الواقع المعاصر يجدها تعتمد المذاكرة طريقًا لإحياء العلم وتثبيته وحفظه، وتلح على ذلك في كل محافلها، وبالرجوع إلى السنة النبوية وجدنا أن المذاكرة كانت حاضرة في المنهج التعليمي للنبي ﷺ وبقوة، وكانت حاضرة كذلك في دائرة اهتمام السلف جيلًا بعد جيل -خاصة جيل الصحابة ﷺ الذين دفعهم الحرص على حفظ السُّنة أن مارسوا المذاكرة وطبقوها مع شيوخهم، وأقرانهم، وأترابهم، وتلامذتهم، والناس عامة، ليلًا، ونهارًا، حِلًا وترحالًا، ونبهوا على فضلها وأهميتها، وهي كذلك كانت حاضرة عند علماء الحديث ومناهجهم، فلقد كان لها أكبر الأثر في إحياء الحديث النبوي وحفظه، ونقده، فمارسوها كما لم ولن يمارسها أحد بعدهم، فغدت منهجًا نفيسًا من مناهج النَّقد عندهم حتى أوصلوها إلى درجة الفريضة كما قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «الدِّرَاسَةُ صَلَاةٌ»(١).

إن اهتمام السلف ﷺ بالمذاكرة سببه أن الحفظ كان هو الأساس في نقل السنة النبوية، وبما أننا لا نستطيع أن نثبت للطبع البشري استمرارية في التذكر وعدم النسيان من دون إيقاظ كامل للذاكرة وإحياء لما تحملته من علم وقت الأداء كان لا بد من المذاكرة

(١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٠٤ رقم ٩٤ ت: أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي السعودية، ط: ١/ ١٤١٤هـ.

والمُدارسة إحياءً لما تحفظه من الحديث النبوي وغيره، فعَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: «تَذَاكَرُوا الْحَدِيثَ، فَإِنَّ ذِكْرَهُ حَيَاتُهُ»(١).

وتطبيقًا لهذا الفهم شغفوا بها واستروحوها حتى كادت أن تذهب بعقولهم لشهوتهم لها، كيحي بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وغيرهما، من أجل إبراز الصورة كاملة لأثر المذاكرة في إحياء الحديث النبوي وحفظه، ونقده وتمحيصه، استخرت الله تعالى في تناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة محاولًا ربط الماضي بالحاضر كي يقتفي شبابنا وفتياتنا من طلبة العلم هَدي سلفهم في الاهتمام بالسنة النبوية والمحافظة عليها.

سبب اختياري لهذا الموضوع وأهميته:

١ - أهمية المذاكرة في إحياء الحديث النبوي وتثبيته وعدم نسيانه.

٢- من أهم وسائل معرفة التفرد والغرابة، والموقوف من المرفوع، وغفلة الغافل، وإيهام المتوهم.

٣- احتلال المذاكرة مرتبة متأخرة في حياة كثير من طلابنا وسُلم اهتماماتهم، فلا كتاب يُدرس، ولا شيخ يتبع.

٤ - أن أسهم بجهدي المتواضع في استجلاء جهود السلف في خدمة السنة، وحفظها، والتثبت من الروايات وسَبْرِها.

مشكلة البحث:

١ - غياب الصورة الكاملة عن أثر المذاكرة في إحياء الحديث النبوي، وندرة المراجع والكتابات التي تناولته، فالجهود مبعثرة، ومن ثم فلم تُفرد لها مساحة كاملة تَستجلي مفاهيمها، وطرقها، وأنواعها، وأثرها.

---

(١) سنن الدارمي في المقدمة، باب مذاكرة العلم ١/ ٤٨٠ رقم ٦٢٧ والأثر إسناده صحيح ورجاله ثقات، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ٢/ ٢٦٨ رقم ١٨٢١ وغيرهما.

فَرضيات البحث وأسئلته:

هل كانت المذاكرة بمفهومها اللغوي والاصطلاحي حاضرة في منهج النبي ﷺ التعليمي، والصحابة ﷺ فمن بعدهم؟ هل يمكن اعتماد المذاكرة كطريقة من طرق تحمل الحديث النبوي، وما صيغة أدائها، وكيف أسهمت في إحياء الحديث النبوي؟

حُدود البحث:

تناول أثر المذاكرة في إحياء الحديث النبوي في عهد الرسول ﷺ، والصحابة، والتابعين، ونماذج من أثرها، وطرق تنفيذها عند علماء الحديث.

أهداف البحث:

١ - الوقوف على طرائق الصحابة والتابعين فمن بعدهم رجالًا ونساءً في مُذاكرة العلم ومُدارسته، وسُبل إحيائه.

٢ - تقديم النموذج لشبابنا حتى تُستنهض الهمم، وتُحمل الرَّاية، وتُنشر السُّنة، وتُدحض الشُّبهة، ويُوقَف الشباب على شِعاب العلم، وأوديته، وربابنته.

الدراسات السابقة: ما كدت أقف على كتاب كامل أَفرد موضوع المذاكرة بالبحث فيما يتعلق بعلم الحديث عند الأقدمين والمتأخرين، وإن وجدت فهي نادرة، وبيانها التالي:

أ- **عند الأقدمين:** اعتنى الأقدمون بها وأفردوا لها أبوابًا في كتبهم، فأفرد لها:

١ - أبو بكر بن أبي شيبة بابًا في مصنفه تحت باب: (تذاكر الحديث).

٢ - والدارمي في سننه تحت باب: (مذاكرة العلم).

٣- والرَّامَهُرْمزي في المُحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحت باب: (الْمُذَاكَرَةِ).

٤ - والبيهقي في كتابه: السنن الكبرى، والمدخل إلى السنن الكبرى، تحت باب: (مذاكرة العلم والجلوس مع أهله).

٥ - والحاكم في معرفة علوم الحديث، تحت النوع الثالث والثلاثين: (مُذَاكَرَةُ الْحَدِيثِ وَالتَّمْيِيزِ بِهَا)

٦ - والخطيب البغدادي في جامع بيان العلم وفضله، تحت أبواب: (مذاكرة الحديث

مع عامة الناس) و(المذاكرة مع الأصحاب والأتباع) و(المذاكرة مع الأقران والأتراب) و(المذاكرة مَعَ الشُّيُوخ وذوي الأسنان) و(دَوَامُ الْمُرَاعَاةِ لِلْحَدِيثِ وَالْمُذَاكَرَةِ بِهِ وَاتِّقَاءِ الْفُتُورِ عَنْهُ).

ب- عند المتأخرين: ما وقفت على كتاب أو بحث تناول موضوع بحثي، لكني وقفت على بعض الأبحاث التي تناولت بعض جوانب المذاكرة، مثل:

١- أنواع المذاكرة عند المحدثين آثارها والفوائد المترتبة عليها، للدكتور عبد الرزاق موسى أبو البصل، تناول فيه المذاكرة على: الأبواب، والشيوخ والتراجم، والمسانيد والبلدان بشكل مختصر.

٢- المذاكرة عند المحدثين (مفهومها، أساليبها، أثرها في النقد الحديثي) محمد بن عبد الله السريِّع، تحدث فيه عن الأغراض الحاملة على المذاكرة، وأنواعها.

إضافة إلى إشارات في ثنايا بعض الأبحاث في حدود اطلاعي، والله أعلم.

منهج البحث: اتبعت المنهج الوصفي التحليلي القائم على نقل النص والوقف على موضع الشاهد فيه، مع تخريجه والحكم عليه في إيجاز.

خطة البحث: اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: اشتملت على: سبب اختيار البحث، وأهميته، وحدوده، ومشكلته، وفرضياته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته.

التمهيد: واشتمل على: التعريف بمصطلح المذاكرة، لغة واصطلاحًا، والفرق بينها وبين المقاولة، والمناظرة.

المبحث الأول: مرتبة المذاكرة، وحكمها في الشرع، وثمارها، وضوابطها وأطرها الحاكمة. وفيه مطالبان:

المطلب الأول: مرتبة المذاكرة وفوائدها، وحكمها في الشرع.

المطلب الثاني: ثمار المذاكرة وفوائدها، وضوابطها وأُطرها الحاكمة.

المبحث الثاني: بيان أثر المذاكرة في إحياء الحديث النبوي، في حياة النبي ﷺ، وصحابته والتابعين لهم بإحسان.

المطلب الأول: بيان الأثر التعليمي للمذاكرة في حياة النبي ﷺ، ودوره في إحياء الحديث النبوي.

المطلب الثاني: بيان الأثر التعليمي للمذاكرة في حياة الصحابة رجالًا ونساءً، ودوره في إحياء الحديث النبوي.

المطلب الثالث: مذاكرة التابعين فمن بعدهم من المُحدثين وغيرهم، وأثرها في إحياء الحديث النبوي وحفظه.

الخاتمة: وتشمل، النتائج، والتوصيات، والفهارس.

تمهيـــد

التعريف بمصطلح المذاكرة، لغة واصطلاحًا، والفرق بينها وبين المقاولة، والمناظرة

لا غَـرْو أن تحريـر المصـطلحات مـن الأهميـة بمكـان، حيـث إنـه يقـوم علـى تبيـين المصـطلح وتحديـد مفهومـه بشـكل مـانع مـن دخـول غيـره فيـه، وجـامع لكـل أفـراد المعرف. وإليك تحرير مفهوم أهم مصطلحات هذ البحث:

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

أولا: تعريف المُذاكرة اللغوي: تدور المذاكرة في اللغة على عدة معانٍ:

١ – تـأتي بمعنـى الـتلفظ بالشـيء بعـد نسـيانه، قـال ابـن الأثيـر: مفاعلـة مـن ذكـرت الشـيء أذكره إذا تلفظتُ به؛ وإذا خطر ببالك بعد النسيان(١).

٢ – وتـأتي بمعنـى التـذاكر: التفـاوض في الشـيء واستحضـاره في أذهـانهم وذَكـرهُ لبعضـهم الـبعض، قـال في معجـم اللغـة: "وذكـره، تـذاكروا في الأمـر: تفاوضـوا فيـه، وتشـاوروا، وتبادلوا الرأي"(٢).

٣– وبمعنـى معـاودة فهـم الـدروس وحفظهـا، قـال في معجـم اللغـة: مُـذَاكرة (مفـرد): مصـدر ذاكـرَ: معـاودة فهـم الـدروس وحفظهـا(٣). قـال الصـاغاني: والاسْـتِذْكَار للدِّرَاسَـة وللْحِفْـظِ(٤)؛ ومنـه قَـوْلُ النَّبـيّ ﷺ: اسْـتَذْكِرُوا الْقُـرْآنَ، فَـوَ الَّـذِي نَفْسِـي بِيَـدِهِ، لَهُـوَ أَشَـدُّ

(١) الشَّـافِي فِيْ شَـرْح مُسْـنَد الشَّـافِعي لابْنِ الأثِيْرْ ١/ ٢٤٧ الناشـر: مَكتَبَةَ الرُّشْـدِ، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط: الأولي ١٤٢٦ هـ.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل ١/ ٨١٤ نشر عالم الكتب، ط: الأولى ١٤٢٩ هـ.

(٣) المرجع السابق ١/ ٨١٦

(٤) التكملة والذيل والصـلة لكتاب تاج اللغة وصـحاح العربية، للحسـن الصـاغاني، وإسـماعيل بن حماد الفارابي/ ٥٢٧ نشر مطبعة دار الكتب، القاهرة.

تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ مِنْ عُقُلِهَا(١).

ثانيًا: تعريف المُذاكرة الاصطلاحي:

يقول الدكتور إبراهيم اللاحم: هي في الأصل طرح موضوعٍ للبحث بين اثنين أو أكثر، وقد يكون الموضوع مسألةً فقهية، أو حديثية، أو لغوية، أو نحوية، أو غير ذلك"(٢).

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وعرَّفها الدكتور حاتم عارف العوني بقوله: هي مطارحات علمية ومساجلات حديثية، يعرض فيها الجلساء من حفاظ الحديث وطلبته لذكر فوائد الأحاديث وغرائب الأسانيد وخفي التعليلات، يسأل بعضهم بعضًا عن ذلك، ويفيد الواحد منهم الآخر ما غاب عنه(٣).

وعرفها الدكتور أحمد أقلاينة فقال: هي وسيلة من وسائل ترسيخ الحديث في الذِّهن، وفهم فقهه، وهي المنهج الذي يتبعه السَّلف والخَلف، طلبة وعلماء(٤).

وقد عرفتها بقولي: المراجعة المستمرة للحديث النبوي وما يتعلق به من علوم بقصد إحياء حفظه وتثبيته، واستجلاء غوامضه، وكشف عِلله، وفهم مقاصده، وذكره بعد نسيانه بطريقة إجرائية غايتها الاستفادة والإفادة، وهي طريقة السَّلف والخَلف أفرادًا وجماعات.

---

(١) صحيح البخاري في فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده ٦/ ١٩٣ رقم ٥٠٣٢ وصحيح مسلم في صلاة المسافرين، باب الأمر بتعهد القرآن ١/ ٥٤٤ رقم ٧٩٠ وأحمد في المسند ٧/ ٧١ رقم ٣٩٦٠ واللفظ له.

(٢) الجرح والتعديل، لإبراهيم بن عبد الله اللاحم ص: ٦٢ نشر: مكتبة الرشد، السعودية، ط: الأولى ١٤٢٤هـ.

(٣) نصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية ص: ٣٥ الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ.

(٤) النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى، لأحمد المكي أقلاينة - مطبعة طوب بريس - الرباط - ٢٠٠٢

ثالثا: تعريف المُقاولة والفرق بينها وبين المذاكرة:

أ) المقاولة في اللغة: مُفاعلة من المحادثة بين اثنين أو أكثر، تقول رجل قَوّالٌ وقَوّالةٌ أي كثير القَوْل[١]. قال في شمس العلوم: المقاولة: قاوله في أمر كذا: أي قال أحدهما للآخر[٢].

ب) المقاولة في الاصطلاح: قال محمد أنور شاة في فيض الباري مفرقًا بين المقاولة، والمذاكرة: " وما يُسمع من الشيخ في سلسلة الكلام وإن لم يجلس للتحديث فهو مقاولةٌ، فإن جلس للتحديث فهو مذاكرةٌ، فالتعهد في المذاكرة أزيدُ من المقاولة، فالمقاولة كمَجْلِس الوعظ"[٣].

قلت: ذكره في مَعرض شرحه لما رواه البخاري تعليقًا، وَقَالَ عَفَّانُ حَدَّثَنَا صَخْرُ بْنُ جُوَيْرِيَةَ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «أَرَانِي أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَاءَنِي رَجُلاَنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الأَصْغَرَ مِنْهُمَا، فَقِيلَ لِي كَبِّرْ. فَدَفَعْتُهُ إِلَى الأَكْبَرِ مِنْهُمَا». وعند مسلم بلفظ" أَرَانِي فِي الْمَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ"[٤]. ثم قال عَقِبه: قوله: (وقال عفان) ... إلخ هذا مقاولة مع أن عفان شيخُه، فلعله أخذه منه مقاولةً لا مذاكرةً[٥].

---

(١) معجم العين للخليل ابن أحمد ٥/ ٢١٢ تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، نشر دار ومكتبة الهلال (د: ت)

(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد اليمني ٨/ ٥٦٨٢ دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان) الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ.

(٣) فيض الباري على صحيح البخاري ١/ ٤٤٩ و٤٤٨ رقم ٢٤٤ تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط ١/ ١٤٢٦

(٤) صحيح البخاري في الوضوء، باب دفع السواك إلى الأكبر ١/ ٨٥ رقم ٢٤٦ وصحيح مسلم في الزهد، باب مناولة الأكبر السواك ٤/ ٢٢٩٨

(٥) فيض الباري، مرجع سابق.

ومثالها: ما أخرجه البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بعضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ، فَكَرِه مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُم: بَلْ لَم يَسْمَع، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: "أَيْنَ -أُرَاهُ- السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟ "قَالَ: ها أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ ..."[1].

قال شمس الدين البِرماوى: واعلم أنَّ العطف قد ترك فى "قال" سُؤالًا وجوابًا؛ لأنَّ المُقاوَلة تقتضي سؤالَ سائلٍ عما قال كلٌّ، نعَمْ[2].

رابعًا: الفَرق بين المذاكرة والمناظرة:

أ) **المناظرة في اللغة: قال ابن منظور:** والتَّناظُرُ: التَّراوُضُ فِي الأَمر. ونَظِيرُك: الَّذِي يُراوِضُك وتُناظِرُهُ، وناظَرَه مِنَ المُناظَرَة. والنَّظِيرُ: المِثْلُ، وَقِيلَ: الْمِثْلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ[3].

ب) **وفي الاصطلاح: قال الجرجاني:** (النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارًا للصواب)[4].

ج) **الفرق بينها وبين المناظرة:** لا ريب أن بينهما فرقًا بينًا، قال ابن عبد البر: (وَأَزَاحُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْمُنَاظَرَةِ وَالتَّفَهُّمِ، وَسَمَّوُا الْمُذَاكَرَةَ مُنَاظَرَةً جَهْلًا مِنْهُمْ بِالْأُصُولِ الَّتِي منها ينزع أهل النظر، وإليها يفزع أولوا الْبَصَرِ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ)[5].

---

(١) صحيح البخاري في العلم، باب من سئل علمًا وهو مشتغل بحديثه ١ رقم ٥٩

(٢) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين البِرماوي المصري، ١/ ٣٢٨ نشر دار النوادر، سوريا، ط: الأولى ١٤٣٣ه.

(٣) لسان العرب لمحمد بن منظور ٥/ ٢١٩ الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

(٤) التعريفات للجرجاني ٢٣٢ ضبطه وصححه جماعة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ط: ١/ ١٤٠٣هـ.

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ٢٣/ ٥٠ نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب عام ١٣٨٧ هـ.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

المبحث الأول

مرتبة المذاكرة ،وحكمها في الشرع ،وثمارها ،وضوابطها وأطرها الحاكمة

عَرَف السَّلف والخلف رضي الله عنهم مكانة ومرتبة المُذاكرة في إحياء الحديث النبوي وحفظه، وفقهه، وضبطه، فوضعها في مكانتها اللائقة، فقدموها على نوافل العبادات، وقيام الليل، وقراءة القرآن الكريم، وقد استنبطوا تلك المنزلة من حكمها في الشرع وما لها من دور في إحياء الحديث النبوي وحفظه، كما وضعوا لها الضوابط والأطر الحاكمة، وبيان ذلك التالي:

المطلب الأول: مرتبة المذاكرة ومرتبتها، وحكمها في الشرع:ـ

منزلة المذاكرة ومرتبتها شَرِيفة شَرُفت بشرف ما تعلقت به من علوم القرآن الكريم، والسنة المباركة. وبيان ذلك التالي:

أولا: منزلة المذاكرة ومرتبتها:

١- مُذاكرة الحديث عند الصحابة والتابعين فمن بعدهم أفضل من قراءة القرآن الكريم:

أخرج البيهقي في المدخل عن سُلَيْمَانَ التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَأَبُو عُثْمَانَ، وَأَبُو نَضْرَةَ وَأَبُو مِجْلَزٍ وَخَالِدٌ الْأَشَجُّ نَتَذَاكَرُ الْحَدِيثَ وَالسُّنَّةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ قَرَأْتُمْ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ وَقَرَأْنَا سُورَةً لَكَانَ أَفْضَلُ، فَقَالَ أَبُو نَضْرَةَ: كَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: مُذَاكَرَةُ الْحَدِيثِ أَفْضَلُ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ"[(١)].

ورواه الخطيب بنحوه عن سُلَيْمَانَ التَّيْمِيُّ قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي مِجْلَزٍ وَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ الْفِقْهَ وَالسُّنَّةَ: لَوْ قَرَأْتَ عَلَيْنَا سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: «مَا أَنَا بِالَّذِي أَزْعُمُ أَنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ

(١) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي ص: ٣٠٢ المحقق: د. محمد الأعظمي، نشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت.

أَفْضَلُ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ»[1].

قال السيوطي في مفتاح الجنة: وَهَذَا كَمَا قَالَ الشَّافِعِي ﷺ: "طلبُ العِلْمِ أفضَلُ من صلاةِ النافلة"[2]؛ لِأَن قِرَاءَة الْقُرْآن نَافِلَة، وَحفظ الحَدِيث فرض كِفَايَة"[3].

وقال البُجَيْرَمِيّ عقب ذكره للأثر: أَيْ الْعِلْمُ الْوَاجِبُ عَيْنًا أَوْ كِفَايَةً هَذَا هُوَ الْمُعْتَمَدُ وَأَخَذَ بَعْضُهُمْ بِالْإِطْلَاقِ[4].

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

٢- المُذاكرة عندهم أفضل من قيام الليل وإحيائه:

أخرج الدارمي في سننه عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، «تَدَارُسُ الْعِلْمِ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ، خَيْرٌ مِنْ إِحْيَائِهَا». ورواه البيهقي عن مطرف قال: سمعت ابن عباس يقول: مذاكرة العلم ساعةً خير من إحياء ليلة. وله عن عطاءً يقول: سمعت ابن عباس يقول: مذاكرة العلم ساعةً من الليل أحبُّ إليَّ من إحياء ليلة[5].

---

(١) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ١/ ١٠٣ تحقيق: عادل الغرازي، نشر دار ابن الجوزي بالسعودية، ط: الثانية ١٤٢١هـ.

(٢) المسند للشافعي ٢٤٩ الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤٠٠هـ. قلت: والأثر صحيح. أخرجه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ومناقبه ص: ٧٢ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.

(٣) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي ص: ٥١ الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط: الثالثة ١٤٠٩هـ.

(٤) تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب، سليمان البُجَيْرَمِيّ ١/ ٤٩ نشر دار الفكر ١٤١٥هـ.

(٥) سنن الدارمي في المقدمة، باب مذاكرة العلم ١/ ٤٨٤ رقم ٦٣٨ المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي ٣٠٥ رقم ٤٥٩ والمدخل إلى علم السنن للبيهقي ٢/ ٧٢٢ رقم ١٥٦٨ دار اليسر للنشر والتوزيع، القاهرة. ط: ١/ ١٤٣٧هـ والبيهقي في المدخل إلى السنن ٤٥٩ ورواية الدارمي عن ابن عباسٍ والبيهقي في المدخل سندها صحيح.

ورواه الخطيبُ أيضًا عن أبي الدرداء بنحوه(١).

وأخرج الخطيب في الفقيه والمتفقه عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مُوسَى: أَنَّ أَبَاهُ أَتَى عُمَرَ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ فَقَالَ: «مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا مُوسَى السَّاعَةَ؟» قَالَ: نَتَذَاكَرُ الْفِقْهَ، قَالَ: فَجَلَسْنَا لَيْلًا طَوِيلًا نَتَذَاكَرُ، قَالَ أَبُو مُوسَى: الصَّلَاةُ، فَقَالَ عُمَرُ: «إِنَّا فِي صَلَاةٍ» قَالَ: فَتَذَاكَرَا حَتَّى كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْفَجْرِ(٢).

وقال مَالِكٌ: الْمُذَاكَرَةُ فِي الْفِقْهِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ (٣). المقصود صلاة النوافل.

وأخرج الدارمي عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: «مَجْلِسٌ يُتَنَازَعُ فِيهِ الْعِلْمُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَدْرِهِ صَلَاةً، لَعَلَّ أَحَدَهُمْ يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيَنْتَفِعُ بِهَا سَنَةً أَوْ مَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِهِ»(٤).

قلت: العلم أفضل؛ لأنه لا يصح الفرض إلا به، ولا تصح العبادة إلا به، والعلماء هم الموقعون عن الله ﷻ في تبليغ وحيه بعد رسله إلى الناس، وأثرهم مستمر بعد وفاتهم، فهم ورثة الأنبياء.

٣-المذاكرة مستحبة في الاعتكاف:

قال الماوردي: فَأَمَّا مُجَالَسَةُ الْعُلَمَاءِ وَمُذَاكَرَتُهُمْ فَمُسْتَحَبَّةٌ لِلْمُعْتَكِفِ وَغَيْرِهِ، وَحُكِيَ عَنْ مَالِكٍ كَرَاهَةُ ذَلِكَ لِلْمُعْتَكِفِ، وَهَذَا خَطَأٌ، لِأَنَّ الْمُذَاكَرَةَ بِالْعِلْمِ قُرْبَةٌ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {فِي بُيُوتٍ أَذَنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} {النور: ٣٦) (٥).

ثانيًا: الحكم الشرعي للمذاكرة:

تستمد المذاكرة حكمها الشرعي من كونها وسيلة فاعلة في إحياء وحفظ الحديث

(١) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ١/ ١٠٢ وإسناده معضل.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٢٦٧

(٣) الذخيرة لأبي العباس القرافي ١٣/ ٣٤٧ الناشر: دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة: الأولى ١٩٩٤ م.

(٤) في المقدمة باب في فضل العلم والعالم ١/ ٣٥٢ رقم ٣٣٤ ، إسناده صحيح.

(٥) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، وهو شرح مختصر المزني لأبي الحسن الماوردي، ٣/ ٤٩٣ تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤١٩ هـ.

النبوي وما يتعلق به، فالشيء يَشْرُف بشرف متعلقه. فإذا كان إحياء الحديث النبوي وما يتعلق به يتوقف على مذاكرته وضبطه، واندثاره واندراسه في ترك مذاكرته وحفظه، فالمذاكرة إذًا من فروض الكفايات التي يحُفظ بها العلم، اقتضاها ما جُبلت عليه العقول البشرية من النسيان، والحاجة الملحة إلى التذكر والتكرار(١).

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

(١) النسيان: ١- إما أن يكون بوسوسة من الشيطان، وإما من غير وسوسته، فأما ما كان بوسوسته؛ فأمثلته كثيرة منها: ما حكاه القرآن الكريم عن صاحب يوسف عليه السلام: {وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ}(يوسف: ٤٢) وقال تعالى حكاية عن صاحب موسى عليه السلام: {وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ}(الكهف: ٦٣) وقبلها نسب النسيان إليهما فقال: {فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا}(الكهف: ٦١) وقال لنبيه ﷺ: {وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}(الأنعام: ٦٨). قال في تفسير المنار: أَيْ، وَإِنْ فُرِضَ أَنْ أَنْسَاكَ الشَّيْطَانُ النَّهْيَ مَرَّةً مَا؛ وَقَعَدْتَ مَعَهُمْ فِي تِلْكَ الْحَالِ ثُمَّ ذَكَرْتَهُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ التَّذَكُّرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ... وفي قوله {يُنْسِيَنَّكَ} يُفِيدُ أَنَّ النِّسْيَانَ عُذْرٌ، وَإِنْ تَكَرَّرَ؛ لِأَنَّ فِي التَّنْسِيَةِ مَعْنَى التَّكْرَارِ. راجع: (تفسير القرآن الحكيم - تفسير المنار لمحمد رشيد رضا) ٧/ ٤٢٣ الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م.

*اختُلف هل الخطاب في هذه الآية للرسول ﷺ والمراد غيره، أم للرسول ﷺ بالذات وغيره تبع له؟

اسْتَشْكَلَ إِنْسَاءُ الشَّيْطَانِ لَهُ ﷺ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْخِطَابَ فِي الْآيَةِ لَهُ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي نَصِّ الْقُرْآنِ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى عِبَادِ اللهِ الْمُخْلَصِينَ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ﷺ أَخْلَصُهُمْ، بَلْ وَرَدَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ}(٩٩: ١٠٠) وَلَكِنَّ إِنْسَاءَ الشَّيْطَانِ بَعْضَ الْأُمُورِ لِلْإِنْسَانِ لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ التَّصَرُّفِ وَالسُّلْطَانِ، وَإِلَّا لَمْ يَقَعْ إِلَّا لِأَوْلِيَائِهِ الْمُشْرِكِينَ؟ ... وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ مُفَسِّرِي السَّلَفِ بِأَنَّ الْخِطَابَ فِي الْآيَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى فَضَّلَهُ عَلَى سَائِرِ عِبَادِهِ الْمُخْلَصِينَ الْمَعْصُومِينَ بِإِعَانَتِهِ عَلَى شَيْطَانِهِ حَتَّى أَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالْحَقِّ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، وَقَدْ يَنْسَى الْإِنْسَانُ خَيْرًا بِاشْتِغَالِ فِكْرِهِ بِخَيْرٍ. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ٧/ ٤٢٤ بتصرف.

٢- أما ما كان من غير وسوسة فوقوعه من الأنبياء لا خلاف في جوازه، قال الشيخ محمد رشيد: "وَإِنَّمَا يَقُومُ الدَّلِيلُ عَلَى عِصْمَتِهِمْ مِنْ نِسْيَانِ شَيْءٍ مِمَّا أَمَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِتَبْلِيغِهِ، وَهَذَا مَحَلُّ إِجْمَاعٍ، وَمِثْلُهُ النِّسْيَانُ الَّذِي

وإذا كانت الحاجة ماسة إلى المذاكرة في إحياء العلوم الطبيعية، والطبية...إلخ، فالحاجة إليها في علوم الشريعة أوجب وآكد لما لها من أهمية في إقامة الدين وحفظه قرآنًا وسنة، ودليل مشروعيتها من السنة ما رواه أبو داود في سننه عن ابنِ عباس قال: قال رسولُ الله ﷺ: تَسمَعُونَ ويُسمَعُ منكم، ويُسمَعُ ممن يَسمَعُ مِنكُم(١).

يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ إِخْلاَلٌ كَإِضَاعَةِ فَرِيضَةٍ أَوْ تَحْرِيمِ حَلاَلٍ، أَوْ تَحْلِيلِ حَرَامٍ ..." ومثاله: ما قاله موسى للخضر عليهما السلام: (قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) (الكهف: ٧٣) المرجع السابق ٧/ ٤٢٤

*والسؤال هنا: هل يجوز على النبي ﷺ النسيان؟

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِهِ لِحَدِيثِ عبد الله بن مسعود، قال: صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ - قَالَ إِبْرَاهِيمُ: لاَ أَدْرِي زَادَ أَوْ نَقَصَ- فَلَمَّا سَلَّمَ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحَدَثَ فِي الصَّلاَةِ شَيْءٌ؟ قَالَ: «وَمَا ذَاكَ»، قَالُوا: صَلَّيْتَ كَذَا وَكَذَا، فَثَنَى رِجْلَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ، وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، قَالَ: «إِنَّهُ لَوْ حَدَثَ فِي الصَّلاَةِ شَيْءٌ لَنَبَّأْتُكُمْ بِهِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي، وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَتِهِ، فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ فَلْيُتِمَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ» (صحيح البخاري في الصلاة باب: التوجه نحو القبلة حيث كان ١/ ٨٩ رقم ٤٠١ وصحيح مسلم في المساجد، باب السهو في الصلاة ١/ ٤٠١ رقم ٥٧٢) واللفظ للبخاري.

فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ النِّسْيَانِ عَلَيْهِ ﷺ فِي أَحْكَامِ الشَّرْعِ، وَهُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ، وَهُوَ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ. وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ ﷺ لَا يُقَرُّ عَلَيْهِ، بَلْ يُعْلِمُهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ، ثُمَّ قَالَ الْأَكْثَرُونَ: شَرْطُهُ تُنَبُّهُهُ ﷺ عَلَى الْفَوْرِ مُتَّصِلًا بِالْحَادِثَةِ، وَلَا يَقَعُ فِيهِ تَأْخِيرٌ، وَجَوَّزَتْ طَائِفَةٌ تَأْخِيرَهُ مُدَّةَ حَيَاتِهِ ﷺ وَاخْتَارَهُ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ، وَمَنَعَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ السَّهْوَ عَلَيْهِ ﷺ فِي الْأَفْعَالِ الْبَلَاغِيَّةِ وَالْعِبَادَاتِ كَمَا أَجْمَعُوا عَلَى مَنْعِهِ وَاسْتِحَالَتِهِ عَلَيْهِ ﷺ فِي الْأَقْوَالِ الْبَلَاغِيَّةِ وَأَجَابُوا عَنِ الظَّوَاهِرِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ وَإِلَيْهِ مَالَ الاستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ فَإِنَّ السَّهْوَ لَا يُنَاقِضُ النُّبُوَّةَ وَإِذَا لَمْ يُقَرَّ عَلَيْهِ لَمْ يَحْصُلْ مِنْهُ مَفْسَدَةٌ بَلْ تَحْصُلُ فِيهِ فَائِدَةٌ وَهُوَ بَيَانُ أَحْكَامِ النَّاسِي وَتَقْرِيرُ الْأَحْكَامِ. (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٥/ ٦١) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية ١٣٩٢هـ.

(١) سنن أبي داود في العلم، باب فضل نشر العلم ٥/ ٥٠٠ رقم ٣٦٥٩ ومسند أحمد ٥/ ١٠٤ رقم ٢٩٤٥ ومستدرك الحاكم ١/ ١٧٤ رقم ٣٢٧ وقال: "صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ". ووافقه

أفاد الحديث بشارة النبي ﷺ لأصحابه وللأمة بعدهم إلى قيام الساعة أن السنة ستنقل بطريقة التحمل والأداء برواية العُدُول جيلًا بعد جيل. ووجه دلالة الحديث على مشروعية المذاكرة يكمن في حاجتنا الضرورية إلى الحفاظ على النص النبوي وفهمه سليمًا غضًا كما هو، ولا سبيل إلى ذلك إلا باعتماد وسيلة المذاكرة منهجًا لذلك الحفظ والتثبيت، كي تظل سفينة السنة النبوية تبحر بسلام عبر هذه القرون الثلاثة المباركة فما بعدها، قرن الصحابة، والتابعين، وتابعيهم فمن بعدهم، فالعدد ليس مقصودًا به هنا الحصر كما يبدو من ظاهر النص، وليس مقصودًا كذلك منه التقليل من أهمية السماع بعد هذه القرون؛ نظرًا لأن السنة كتبت بعد ذلك؛ والسبب أن السماع بقي موجودًا مصاحبًا للكتابة عدة قرون بعد هذه القرون، فقد كثر عدد من المصنفين والمؤلفين يروون بالأسانيد في القرن الرابع والخامس، كأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)، وأبي بكر أحمد بن الحُسَين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨هـ) وأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ) وأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ) ... كل هؤلاء وغيرهم يقولون: سمعنا، حدثنا، أخبرنا ... ولا ريب أن عملية نقل المرويات هذه المذاكرة حاضرة قبلها وبعدها وفي أثنائها؛ ليظل الحديث النبوي حيًا غَضًا محققًا مصححًا كما هو عبر الزمان والمكان.

المطلب الثاني: ثمار المذاكرة وفوائدها ،وضوابطها وأُطرها الحاكمة

للمذاكرة ثمار يانعة، وقطوف دانية، وظلال وَارِفة، وفوائد جَمة، وأثر طيب في إحياء الحديث النبوي وحفظه، دِراية ورواية، ومَقصدًا وفقهًا، كما لها قواعد وضوابط وأطرًا حاكمة لا تتجاوزها، بيانها التالي:

الذهبي، والسنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ٤٢٣ رقم ٢١١٨٥ وصحيح ابن حبان ١/ ٢٦٣ رقم ٦٢ والحديث إسناده صحيح، عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ الرَّازِيُّ ثقة.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

أولا: ثمار المذاكرة وفوائدها:

١- مُوقظة للقلب ومُجْلاة للبصر، ومُبْسطة للعلم، ومَنْبَطة له:

أخرج البيهقي في المدخل عن أَبي أَحْمَدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْفَرَّاءُ، قال: " كَانَ يُقَالُ: عَلَيْكُمْ بِمُذَاكَرَةِ الْعِلْمِ، فَإِنَّهَا مُبْسِطَةٌ لِلْعِلْمِ وَمِيقَظَةٌ لِلْفُؤَادِ وَمُجْلَاةٌ لِلْبَصَرِ "[(١)]، ورواه بلفظ" فإنها مَنْبَطة للعلم"[(٢)]، وعليه فقد جمع الأثر بين ثلاثة فوائد: أ- موقظة للقلب، ولا غَرْو فإدمان المذاكرة وإشغال القلب بها كفيل بيقظته، وتنشيطه، وإحيائه من مواته، كما يحي الغيث الأرض الميتة للزراعة. قال الأمير الصنعاني: " قالت الحكماء: لا تخل قلبك من المذاكرة فتعود عقيمًا فمن أهمل نفاسة نفسه عن الازدياد في العلوم وأغفل رياضتها بتدرجها في المفهوم فقد عرض ما حصله للضياع"[(٣)].

ب- ومجلاة للبصر: وهو من بركات المذاكرة، خاصة إذا كان المُذَاكَر هو حديث رسول الله ﷺ، وسببه إدامة النظر في تحقيق النص النبوي وما يتعلق به.

ج- "مُبْسِطة للعلم" أو "مَنْبَطة" أي: وسيلة لنشر العلم، واستنباطه، واستنباط دقائق المسائل من نصوصه.

٢- مذاكرة الحديث النبوي سَبب في إحيائه، وتركها سبب في موته واندراسه:

فقد جاء ذلك صريحًا عن غير واحد من السلف في أكثر من رواية، منها:

أ) أخرج الدارمي في سننه عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود ﷺ قَالَ: «تَذَاكَرُوا هَذَا الْحَدِيثَ، فَإِنَّ حَيَاتَهُ

(١) المدخل إلى السنن الكبرى، ٢٩٤ رقم ٤٣٦

(٢) المدخل إلى علم السنن ٢/ ٧١١ رقم ١٥٤٨ والأثر صحيح من كلام أبى أحمد الفراء، وهو ثقة إمام. راجع: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢/ ٦٠٦ تحقيق: مجموعة بإشراف الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

(٣) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ ٤/ ١٣٧ رقم ٢٤٨٣ ت: د. محمَّد إبراهيم، نشر: مكتبة دار السلام، الرياض، ط: ١ ١٤٣٢هـ.

مُذَاكَرَتُهُ»(١)، وروى بسنده عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: «تَذَاكَرُوا الْحَدِيثَ، فَإِنَّ ذِكْرَهُ حَيَاتُهُ»(٢)، وله أيضًا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: «إِحْيَاءُ الْحَدِيثِ مُذَاكَرَتُهُ» فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ شَدَّادٍ: يَرْحَمُكَ اللهُ. كَمْ مِنْ حَدِيثٍ أَحْيَيْتَهُ فِي صَدْرِي، كَانَ قَدْ مَاتَ»(٣)، وأخرجه ابن أبي شيبة بلفظ: سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ، يَقُولُ: «تَذَاكَرُوا الْحَدِيثَ فَإِنَّ إِحْيَاءَهُ ذِكْرُهُ»(٤).

ب) أخرج الدارمي في سننه قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: رُدُّوا الْحَدِيثَ وَاسْتَذْكِرُوهُ. فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ تَذْكُرُوهُ ذَهَبَ، وَلَا يَقُولَنَّ رَجُلٌ لِحَدِيثٍ قَدْ حَدَّثْتُهُ: قَدْ حَدَّثْتُهُ مَرَّةً، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ سَمِعَهُ يَزْدَادُ بِهِ عِلْمًا، وَيَسْمَعُ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ(٥).

ج) أخرج الحاكم في مستدركه قَالَ عَلِيٌّ ﷺ: «تَذَاكَرُوا الْحَدِيثَ فَإِنَّكُمْ إِلَّا تَفْعَلُوا يَنْدَرِسُ»(٦).

د) عن أحمد بن لالٍ قال: "... أنشدنا ما جاء من حديث أحمد بن على بن لالٍ، قال... قال أنشدنا أبو سعيد السكري الحسن بن الحسين المهلبي بالبصرة:

---

(١) سنن الدارمي في المقدمة، باب مذاكرة العلم ١/ ٤٨٦ رقم ٦٤٣ ومستدرك الحاكم ١/ ١٧٣ رقم ٣٢٥ وقال قبله «وَقَدْ رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ عَلَى مُذَاكَرَةِ الْحَدِيثِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، بِأَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ».

(٢) المرجع السابق ١/ ٤٨٠ رقم ٦٢٧ وإسناده صحيح رجاله ثقات، قبيصة صدوق مقرون بالفريابي وهو ثقة، والمدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي ٢٨٩ رقم ٤٢٣ وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٤٢٤ رقم ٦٢٧

(٣) سنن الدارمي مرجع سابق ١/ ٤٨٠ رقم ٦٢٦ وإسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد الهاشمي، لكن له شواهد تقويه سبق ذكرها في الذي قبله. ومصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٢٨٢ رقم ٢٦١٣٨

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٢٨٥ رقم ٢٦١٣٥

(٥) سنن الدارمي ١/ ٤٨٠ رقم ٦٢٥ إسناده ضعيف، مندل بن علي العنزي ضعيف، لكن ما سبق من طرق يقويه.

(٦) مستدرك الحاكم ١/ ١٧٣ رقم ٣٢٤ وقال: "صحيح عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ".

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

العِلم يصدي على الأغفال جَوهرة .:. وقد يزيد على تذكاره لمعا

يحيا المذاكرة العلم الدقيق .:. وإن طال الثواء على (غير واضح بالأصل) سمعا[١]

والمعنى: أن العلم جوهرة مضيئة تصدى ويتغير لونها إثر تركها وإغفالها على ذكر منك، بينما المذاكرة تزيده لمعًانا وبريقًا ورونقًا، فهي ماء حياته وري عطشه وظمئه؛ وإن طال ثواءه وركوده.

وضح لنا من هذه الروايات المتكاثرة أن من أهم وسائل المحافظة على إحياء الحديث وغيره مذاكرته، وفي تركها موته وذهابه واندراسه، وقد نقل السخاوي ما يدلل على ذلك بقوله: وَلِبَعْضِهِمْ:

مَنْ حَازَ الْعِلْمَ وَذَاكَرَهُ .:. صَلَحَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتُهْ

فَأَدِمْ لِلْعِلْمِ مُذَاكَرَةً .:. فَحَيَاةُ الْعِلْمِ مُذَاكَرَتُهْ[٢]

٣- بالمذاكرة يُعرف ضبط الحديث:

قال أبوزرعة: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرتُه، فأخذت عليه الأبواب، وقال أيضًا: "حَزَرنا حفظ أَحْمَد بْن حنبل بالمذاكرة عَلَى سبع مائة ألف حديث"[٣]، وقد عقب الذهبي على ذلك بقوله: "فَهَذِهِ حِكَايَةٌ صَحِيْحَةٌ فِي سَعَةِ عِلمِ أَبِي عَبْدِ اللهِ، وَكَانُوا يَعُدُّوْنَ فِي ذَلِكَ المُكَرَّرَ، وَالأَثَرَ، وَفَتْوَى التَّابِعِيِّ، وَمَا فُسِّرَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَإِلاَّ فَالمُتُوْنَ المَرفُوعَةُ القَوِيَّةُ لاَ تَبلُغُ عُشْرَ

(١) جزء من حديث أبي بكر أحمد بن علي بن لال عن شيوخه – مخطوط، ص ٩ المكتبة الشاملة.

(٢) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، للسخاوي ٣/ ٣١٦ تحقيق: علي حسين علي، نشر مكتبة السنة بمصر، ط: ١/ ١٤٢٤هـ.

(٣) طبقات الحنابلة لأبي الحسين ابن أبي يعلى ١/ ٦ المحقق: محمد حامد الفقي، نشر دار المعرفة ببيروت، (د: ت)، وشرح الموقظة للإمام الذهبي، لمحمود المنياوي ٦٩ الناشر: المكتبة الشاملة بمصر، الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ.

مِعشَارِ ذَلِكَ[1].

وقال الإمام مسلم في بيانه للمراد من علم الحديث ومتعلمه: "بالمذاكرة يثبت المحفوظ ويتحرر ويتأكد ويتقرر ويزداد بحسب كثرة المذاكرة"[2].

٤- مذاكرة الحديث النبوي وغيره تُنَقِح وتُلْقِح العقول:

قال المناوى: "وفي بعض الآثار نقحوا عقولكم بالمذاكرة واستعينوا على أموركم بالمشاورة"[3]، وأورده الماوردي بقوله: وَقَدْ رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لَقِّحُوا عُقُولَكُمْ بِالْمُذَاكَرَةِ"[4].

قلت: لأن المذاكرة تنشط الذاكرة، وتُذكر بما نُسي؛ لاستخراج الأدلة ونحوها.

٥- المذاكرة تكشف عُوارَ من لا يَصْدُق[5]:

ودليل ذلك ما رواه الحاكم بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، سَأَلْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ السَّبِيعِيَّ الْحَافِظَ، عَنْ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَجَاءٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، فَقَالَ: **لِهَذَا الْحَدِيثِ قِصَّةٌ تَدُلُّ عَلَى عَوَارِ مَنْ لَا يُصَدَّقُ فِي الْمُذَاكَرَةِ**، قَرَأَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ نَاجِيَةَ مُسْنَدَ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، سَنَةَ ثَلَاثِ مِائَةٍ، فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الْبَاغَنْدِيِّ، عِنْدَ مُنْصَرَفِي مِنْ مَجْلِسِ ابْنِ نَاجِيَةَ، فَسَأَلَنِي: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ قُلْتُ مِنْ مَجْلِسِ ابْنِ نَاجِيَةَ، قَالَ: وَأَيْشْ قَرَأَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ، فَقُلْتُ أَحَادِيثَ الشَّعْبِي، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، فَقَالَ: مَنْ لَكُمْ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَجَاءٍ الزُّبَيْدِيِّ، عَنِ الشَّعْبِيِّ؟

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/ ١٨٧

(٢) صحيح مسلم في المقدمة بشرح النووي ١/ ٤٨

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي ٥/ ٤٤٢ رقم ٧٨٩٥ نشر: المكتبة التجارية - مصر، ط: ١ ١٣٥٦هـ.

(٤) أدب الدنيا والدين للماوردي ٣٠٣ الناشر: دار مكتبة الحياة، الطبعة: (د: ط)، ت: ١٩٨٦م.

(٥) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ١٠٩ الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

فَنَظَرْتُ فِي الْجُزْءِ فَلَمْ أَجِدْ، فَقَالَ: اكْتُبْ، ذَكَرَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، فَقُلْتُ: عَنْ مَنْ؟ فَمَنَعْتُهُ عَنِ التَّدْلِيسِ، وَطَالَبْتُهُ بِالسَّمَاعِ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدَةَ الْحَافِظُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُعَلَّى الْأَثْرَمُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ الْعَبْدِيُّ، عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَجَاءٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قِصَّةَ الطَّلَاقِ، وَالسُّكْنَى، وَالنَّفَقَةَ..."[١].

٦- مذاكرة الحديث تعالج سوء الحفظ وكثرة النسيان:

أما معالجتها لسوء الحفظ، فيقول الدكتور أحمد معبد في تفريقه بين الاختلاط وسوء الحفظ: "أما سوء الحفظ فيمكن معه ذلك بالمذاكرة مع الحُفاظ أو بالمراجعة من مكتوب"[٢]. وأخرج الخطيب البغدادي في الجامع بسنده عن مُحَمَّدِ بْنِ طَالِبِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: سُئِلَ أَبُو عَلِيٍّ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَغْدَادِيُّ عَنْ عِلَاجِ الْحِفْظِ؟ فَقَالَ: لَا شَيْءَ إِلَّا الطَّبْعُ وَالْحِرْصُ وَمُدَاوَمَةُ النَّظَرِ وَكَثْرَةُ الدَّرْسِ. وله أيضًا عن إِبْرَاهِيمَ الْأَصْبَهَانِيَّ يَقُولُ: كُلُّ مَنْ حَفِظَ حَدِيثًا فَلَمْ يُذَاكِرْ بِهِ تَفَلَّتَ مِنْهُ[٣].

وقال شهاب الدين: ولا يزلْ مذاكرًا بما عَلِمْ .:. مَن لا يُذاكِرْ يَنْسَ محفوظَ الكَلِمْ[٤].

٧- تَغرسُ حُب الحديث النبوي في قلوب أهله وتنميه، فالتذوا به وخالط شغاف قلوبهم:

نقل القاضي عياض عن عبد الله بن طالب القاضي: "لم يكن شيء أحب لابن

(١) معرفة علوم الحديث ١٤١ في ذِكْرُ النَّوْعِ الثَّالِثِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ عُلُومِ الْحَدِيثِ ... مُذَاكَرَةُ الْحَدِيثِ.

(٢) تعليقًا على كتاب: النفح الشذي في شرح جامع الترمذي لابن سيد الناس ٣/ ٨٣٧ نشر دار العاصمة بالرياض - السعودية، ط: الأولى ١٤٠٩هـ.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ٢٧٩ رقم ١٨٥٠ تحقيق: د. محمود الطحان، نشر: مكتبة المعارف – الرياض.

(٤) أقصى الأمل والسُّول في علم حديث الرسول ﷺ، شهاب الدين الخُوَيِّي ٢١١/ ٨٧٥ تحقيق: نواف عباس حبيب المناور، رسالة ماجستير، الكويت، يونيو ٢٠١٥

طالب من المذاكرة في العلم"[1]، وفي ذلك ما ذكره القاضي عياض، ما قاله أبو الحسن القابسي عن أبي العباس عبد الله بن أحمد الإيباني: "ما رأيت بالمشرق ولا بالمغرب مثل أبي العباس. وكان يفصل المسائل، كتفصيل الجزار الحاذق اللحم. وكان يحب المذاكرة في العلم، ويقول: دعونا من السماع، ألقوا علينا المسائل. وربما دخل عليه أصحابه وهو مُلتاث[2]. فإذا أخذوا في المذاكرة زال التياثه وظهر نشاطه. وكان يدرس كتاب ابن حبيب، وكان ابن اللباد إذا ذاكره، يضجر لكثرة معارضته ودقة فهمه، فيُسرّ به أبو العباس"[3].

قلت: وبلغ من التذاذهم بمذاكرة علم الحديث أن شوقت طريقة مذاكرتهم ونقاشاتهم غَيرهم ممن يشاهدهم ممن ليس من أهله كما حدث للْأُسْتَاذ ابْن الْعَمِيدِ[4] يَقُولُ: "مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ فِيَ الدُّنْيَا حَلَاوَةً أَلَذَّ مِنَ الرِّئَاسَةِ وَالْوَزَارَةِ الَّتِي أَنَا فِيهَا حَتَّى شَاهَدْتُ مُذَاكَرَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ أَحْمَدَ الطَّبَرَانِيِّ وَأَبِي بَكْرٍ الْجِعَابِيِّ بِحَضْرَتِي فَكَانَ الطَّبَرَانِيُّ يَغْلِبُ الْجِعَابِيَّ بِكَثْرَةِ حِفْظِهِ وَكَانَ الْجِعَابِيُّ يَغْلِبُ الطَّبَرَانِيَّ بِفِطْنَتِهِ وَذَكَاءِ أَهْلِ بَغْدَادَ حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهَا وَلَا يَكَادُ أَحَدُهُمَا يَغْلِبُ صَاحِبَهُ فَقَالَ الْجِعَابِيُّ: عِنْدِي حَدِيثٌ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا عِنْدِي فَقَالَ: هَاتِهِ فَقَالَ: نَا أَبُو خَلِيفَةَ نَا

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك ٤/ ٣٠٩ تحقيق: عبد القادر الصحراوي، نشر مطبعة فضالة بالمحمدية بالمغرب ط: ١/ ١٩٦٦

(٢) قَالَ ابْن قُتَيْبَة: "أصل اللوث الطي وَالْمرَاد أَنه تكلم بِكَلَام مطوي لم يشرحه وَلم يُبينهُ". غريب الحديث لابن الجوزي ٢/ ٣٣٤ المحقق: د. عبد المعطي القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان، ط: ١ ١٤٠٥ - ١٩٨٥م.

(٣) ترتيب المدارك مرجع سابق ٦/ ١٢

(٤) مُحَمَّدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ مُحَمَّدٍ الكَاتِبُ الوَزِيْرُ، وَزِيْرُ الملكِ رُكنِ الدَّوْلَةِ الحَسَنِ بنِ بُوَيْه الدَّيْلَمِيِّ، يُضرب به المثل في البلاغة، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٣٧

سُلَيْمَانُ بْنُ أَيُّوبَ وَحَدَّثَ بِالْحَدِيثِ فَقَالَ الطَّبَرَانِيُّ: أَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَيُّوبَ وَمِنِّي سَمِعَ أَبُو خَلِيفَةَ فَاسْمَعْ مِنِّي حَتَّى يَعْلُوَ إِسْنَادُكَ فَإِنَّكَ تَرْوِي عَنْ أَبِي خَلِيفَةَ عَنِّي فَخَجَلَ الْجِعَابِيُّ وَغَلَبَهُ الطَّبَرَانِيُّ، قَالَ ابْنُ الْعَمِيدِ: فَوَدِدْتُ فِي مَكَانِي أَنَّ الْوَزَارَةَ وَالرِّئَاسَةَ لَيْتَهَا لَمْ تَكُنْ لِي وَكُنْتُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفَرَحْتُ مِثْلَ الْفَرَحِ الَّذِي فَرِحَ بِهِ الطَّبَرَانِيُّ لِأَجْلِ الْحَدِيثِ أَوْ كَمَا قَالَ"(١).

وحول هذه المعاني الرائعة، ما أخرجه الخطيب في الجامع عن عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ:

مَا لَذَّتِي إِلَّا رِوَايَةُ مُسْنَد .:. قَدْ قُيِّدَتْ بِفَصَاحَةِ الْأَلْفَاظ
وَمَجَالِسٌ فِيهَا تَحِلُّ سَكِينَةٌ .:. وَمُذَاكَرَاتُ مَعَاشِرَ الْحُفَّاظ
نَالُوا الْفَضِيلَةَ وَالْكَرَامَةَ وَالنُّهَى .:. مِنْ رَبِّهِمْ بِرِعَايَةٍ وَحِفَاظ
لَاظُو بِرَبِّ الْعَرْشِ لَمَّا أَيْقَنُوا .:. أَنَّ الْجِنَانَ لِعُصْبَةٍ لُوَّاظ(٢)

٨-المذاكرة تُثير أفكارًا ومسائل جديدة وتهيجها في الذِّهن:

أخرج الدارمي في سننه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: «تَذَاكَرُوا الْحَدِيثَ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ يُهَيِّجُ الْحَدِيثَ»(٣). وَعن الصحابة رضوان الله عليهم في هذا المثال أثر المذاكرة في إثارة الأفكار وتهييجها، وتقليبها، وتجديدها، فطلب منا أبو سعيد الخدري ﷺ أن نتذاكر الحديث، والسبب أن عملية المذاكرة تثير وتهيج أفكارًا جديدة لم تكن مطروحة، وهذا يشبه إلى حد كبير ما يُسمى في عصرنا بـ (العَصْف الذِّهني).

قلت: وهناك لفظ آخر لهذه الرواية: «تَحَدَّثُوا فَإِنَّ الْحَدِيثَ يُهَيِّجُ الْحَدِيثَ»(٤). يفيد أن التحدث يقوي القلب، ويرفع الخوف، والتَّلعثم، فينطلق اللسان بالحق -طالما

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ٢٧٤ رقم ١٨٣٨

(٢) الجامع لأخلاف الراوي ٢/ ٢٧٨ رقم ١٨٤٦

(٣) سنن الدارمي في المقدمة، باب مذاكرة العلم ١/ ٤٧٧ رقم ٦١٧ وإسناده صحيح، والجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي ٢/ ٢٦٧ رقم ١٨١٩ والمصنف لابن أبي شيبة ٥/ ٢٨٥ رقم ٢٦١٣٣

(٤) سبق تخريجه في الذي قبله.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

علمه واضحًا- لا يخاف في الله لومة لائم، أيًا كان مصدره. والذي دفعني إلى هذا التفسير ما قاله أبو سعيد الخدري: "لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مِنْكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا رَآهُ أَوْ عَلِمَهُ"(١).

٩- الأجر العظيم من الله ﷻ لمن قعد يتذاكر كتاب الله وسنة نبيه ﷺ:

ودليل ذلك ما أخرجه الحاكم في مستدركه عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ ... دَخَلَ مَسْجِدَ حِمْصَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، فَلَمَّا فَرَغَ إِذَا هُوَ بِنَاسٍ جُلُوسٌ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا يُجْلِسُكُمْ؟ قَالُوا: صَلَّيْنَا صَلَاةَ الْمَكْتُوبَةِ ... **قَعَدْنَا نَتَذَاكَرُ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: ... وَكُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِقَوْمٍ فِي الْمَسْجِدِ قُعُودٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا يُقْعِدُكُمْ؟» قَالُوا: صَلَّيْنَا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ ثُمَّ **قَعَدْنَا نَتَذَاكَرُ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ** ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ إِذَا ذَكَرَ شَيْئًا تَعَاظَمَ ذِكْرُهُ»(٢).

وفي معنى هذا الحديث ما أخرجه مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

« ... وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»(٣).

---

(١) مسند أحمد ١٧/ ٤٩٠ رقم ١١٤٠٣ إسناده صحيح، ورجاله ثقات، رجال الشيخين غير أبي نضرة: المنذر بن مالك العبدي، فمن رجال مسلم.

(٢) مستدرك الحاكم ١/ ١٧٢ رقم ٣٢١ وقال: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَقَدْ سَمِعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيُّ مِنْ مُعَاوِيَةَ غَيْرَ حَدِيثٍ» ووافقه الذهبي، والمدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي ٢٨٧ رقم ٤١٨

(٣) صحيح مسلم في العلم، باب فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ ٤/ ٢٠٧٤ رقم ٢٦٩٩ وسنن أبي داود في الصلاة باب: ثواب قراءة القرآن ٢/ ٧١ رقم ١٤٥٥ وغيرهما.

وقد بين ﷺ أن ثواب الله للذين يجلسون يتدارسون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في بيت من بيوته يتمثل في أربعة أشياء:

١- تنزل عليهم السَّكِينة: وهي والوقار، والخشية، والطمأنينة {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (الرعد: ٢٨).

٢- تغشاهم الرحمة: أي علتهم، وغطتهم، وغمرتهم، وسترتهم، من كل جانب، والمراد آثارها من الفيض والفضل.

٣- تحفهم الملائكة: قال في مرقاة المفاتيح: أي ملائكة الرحمة والبركة أحدقوا وأحاطوا بهم تعظيمًا لصنيعهم، أو طافوا بهم وداروا حولهم إلى سماء الدنيا يستمعون القرآن ودراستهم.

٤- يذكرهم الله فيمن عنده: أي الملأ الأعلى والطبقة الأولى من الملائكة، وذكره تعالى للمباهاة بهم. وللتعليق على أهم ما جاء في الحديث أذكر ما يلي: قوله: "في بيت من بيوت الله" هو شامل لجميع ما يبنى لله تقربًا إليه من المساجد والمدارس والربط. وقوله: "ويتدارسونه" قيل: شامل لجميع ما يتعلق بالقرآن من التعلم والتعليم والتفسير والاستكشاف عن دقائق معانيه(١).

وبَوب الخطيب في الفقيه والمتفقه، باب: إِلْقَاءُ الْفَقِيهِ الْمَسَائِلَ عَلَى أَصْحَابِهِ أَسْتَحِبُّ أَنْ يَخُصَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِالْمُذَاكَرَةِ لِأَصْحَابِهِ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، وَإِلْقَاءِ الْمَسَائِلِ عَلَيْهِمْ وَيَأْمُرُهُمْ بِالْكَلَامِ فِيهَا، وَالْمُنَاظَرَةِ عَلَيْهَا (٢).

١٠- المذاكرة وسيلة لمحاربة الأنانية، والأثرة، وكتم العلم:

لا ريب أن المذاكرة تُخلص بعض الشيوخ والتلاميذ مما قد يصيبهم من بعض هذه

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعبيد الله المباركفوري ١/ ٣٠٨ نشر إدارة البحوث العلمية بالجامعة السلفية – بنارس الهند، ط ٣/ ١٤٠٤

(٢) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٢/ ٢٧٤

الصفات المستقبحة أحيانًا. ولا يَعْزُب عنا أن الروايات قد جاءت صريحة في أن من أفاد الناس بعلمه أخلف الله عليه علم مالم يعلم، قَالَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: «مَنْ أَكْثَرَ مُذَاكَرَةَ الْعُلَمَاءِ لَمْ يَنْسَ مَا عَلِمَ وَاسْتَفَادَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»(١).

وأخرج الخطيب عَبْدَ اللهِ بْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْفَعَةِ الْحَدِيثِ أَنْ يُفِيدَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا»(٢).

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وله أيضًا عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي الزَّرْقَاءِ، نا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَنَحْنُ شَبَابٌ عَلَى بَابِهِ فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ تَعَجَّلُوا بَرَكَةَ هَذَا الْعِلْمِ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ لَعَلَّكُمْ لَا تَبْلُغُونَ مَا تُؤَمَّلُونَ مِنْهُ لِيُفِدْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا"(٣)، وله عن يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ، يَقُولُ: «أَوَّلُ بَرَكَةِ الْحَدِيثِ إِفَادَتُهُ»(٤)، وأخرج الطبراني عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تُنَاصَحُوا فِي الْعِلْمِ، فَإِنَّ خِيَانَةَ أَحَدِكُمْ فِي عِلْمِهِ أَشَدُّ مِنْ خِيَانَتِهِ فِي مَالِهِ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ سَائِلُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٥).

قلت: ولقد بلغ من حرص علماء الحديث على إفادة الناس وتعليمهم الحديث النبوي هذا المثل الرائع الذي بلغنا عن سفيان الثوري –رحمه الله– والذي أخرجه الخطيب بسنده عن

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٢٧٦ رقم ١٨٤١

(٢) المرجع السابق ٢/ ١٥٠ رقم ١٤٥٢

(٣) المرجع السابق ٢/ ١٥٠ رقم ١٤٥١

(٤) المرجع السابق ٢/ ١٥٠ رقم ١٤٥٣

(٥) المعجم الكبير للطبراني ١١/ ٢٧٠ رقم ١١٧٠١ المحقق: حمدي السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط: ٢ (د: ت). وحلية الأولياء لأبي نُعيم الأصبهاني ٩/ ٢٠ ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ١/ ١٤١ رقم ٦٠٥ وقال: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَفِيهِ أَبُو سَعْدٍ الْبَقَّالُ. قَالَ أَبُو زُرْعَةَ: لَيِّنُ الْحَدِيثِ مُدَلِّسٌ، قِيلَ: هُوَ صَدُوقٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَانَ لَا يَكْذِبُ. وَقَالَ أَبُو هِشَامٍ الرِّفَاعِيُّ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سَعْدٍ الْبَقَّالُ وَكَانَ ثِقَةً. وَضَعَّفَهُ شُعْبَةُ لِتَدْلِيسِهِ، وَالْبُخَارِيُّ وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ مُوَثَّقُونَ. والجامع لأخلاق الراوي ٢/ ١٤٩ رقم ١٤٤٩ قلت: وهو حديث ضعيف.

إِسْـمَاعِيلَ بْنَ عَيَّاشٍ يَقُولُ: قَدِمْتُ الْكُوفَةَ فَلَمَّا أَنْ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ خَرَجْتُ فِي وَقْتٍ حَارٍّ فَإِذَا أَنَا بِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ مُقَنِّعٌ رَأْسَهُ قَدْ دَخَلَ دَرْبًا فَتَبِعْتُهُ فَلَمَّا أَنْ أَمْعَنَ فِي الدَّرْبِ الْتَفَتَ قَالَ: وَتَنَحَّيْتُ فَلَمْ يَرَنِي قَالَ: فَأَتَى بَابًا فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ قَدْ وَقَعَ عَلَى شَـيْخٍ قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَكَتَبَ عَنْهُ وَكَتَبْتُ مَعَهُ فَلَمَّا قُمْنَا قَالَ لِي: يَا إِسْـمَاعِيلُ اذْهَبِ الْآنَ فَلَا تَدَعْ حَائِكًا فِي الْكُوفَةِ إِلَّا أَفَدْتَهُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ وَاللَّفْظُ لِابْنِ خَلَّادٍ وَهُوَ أَتَمُّ وَفِي حَدِيثِ الطَّرَسُـوسِـيِّ قَالَ: «فَذَهَبْتُ فَمَا لَقِيتُ أَحَدًا إِلَّا أَفَدْتُهُ» وَالَّذِي نَسْـتَحِبُّهُ إِفَادَةَ الْحَدِيثِ لِمَنْ لَمْ يَسْـمَعْهُ وَالدَّلَالَةَ عَلَى الشُّـيُوخِ وَالتَّنْبِيهَ عَلَى رِوَايَاتِهِمْ فَإِنَّ أَقَلَّ مَا فِي ذَلِكَ النُّصْـحُ لِلطَّالِبِ وَالْحِفْظُ لِلْمَطْلُوبِ مَعَ مَا يُكْتَسَـبُ بِهِ مِنْ جَزِيلِ الْأَجْرِ وَجَمِيلِ الذِّكْرِ[1].

١١- أثار ترك المذاكرة وإهمالها:

وإنما جعلت ذلك من الثمار والفوائد؛ لأنه أثر سلبي مترتب على إهمالها، والانشغال عنها. والحقيقة أن تركها له أثاره الخطيرة التي تلحق بمن أهملها، وإهمالها يكون:

أ- إما بالكسل، أو العزلة: مثال حُميد بن هلال، أخرج أبو نعيم في الحلية عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: «كَانَ حُمَيْدُ بْنُ هِلَالٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْفُقَهَاءِ لَمْ يَكُنْ يُذَاكَرُ وَلَا يُسْأَلُ إِنَّمَا كَانَ يَعْتَزِلُ فِي مَكَانٍ»[2].

ب- وإما بالتكبر والتعالي على الأقران، ويوضحه ما رواه ابن عبد البر في الجامع قال: وَقَالَ أَبُو حَازِمٍ: صَارَ النَّاسُ فِي زَمَانِنَا يَعِيبُ الرَّجُلُ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فِي الْعِلْمِ لِيُرِيَ النَّاسَ أَنَّهُ لَيْسَ بِهِ حَاجَةٌ إِلَيْهِ، وَلَا يُذَاكِرُ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ، وَيُزْهُو عَلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، فَذَهَبَ الْعِلْمُ

(١) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ١٤٥ رقم ١٤٤٨

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم ٢/ ٢٥٢ وإسناده حسن، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر ١٣٩٤هـ.

وَهَلَكَ النَّاسُ[1] ... إلخ ذلك من فوائد وثمار.

ثانيًا: ضوابط المذاكرة وأطرها الحاكمة:

وللحديث عن ضوابط المذاكرة، فهي كثيرة لا يتسع لحصرها، ولكن نصطفي منها أهمها، وذلك فيما يأتي:

١- ضوابط التحمل والأداء عن طريق المذاكرة:

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

سماع المذاكرة غير سماع التحديث، إذ أن سماع التحديث يكون قد استعدَّ له الشيخ والطالب تحضيرًا وضبطًا قبل المجيء لمجلس الحديث. أما المذاكرة فليس فيها ذلك الاستعداد - قال لي ـ أو ذَكر لي.

وقد اختلف علماء الحديث في تحمل الحديث عن طريق المذاكرة فمنهم من منع ومنهم من أجاز.

الفريق الأول: منع من تحمل الحديث بالمذاكرة، والسبب يكمن في وهن ما تُحُمل عن طريق المذاكرة؛ لأنه يُتسمح فيها ويتساهل، قال الذهبي: فيما إذا قال: "حدَّثَنا فلانٌ مذاكَرةً"، دَلَّ على وَهْنٍ مَّا، إذْ المذاكرةُ يُتَسَمَّحُ فيها"[2].

قال ابن الصلاح: وكان جماعة من حفاظهم يمنعون من أن يُحمل عنهم في المذاكرة شيء، منهم: عبد الرحمن بن مهدي، وأبو زرعة الرازي، ورويناه عن ابن المبارك، وغيره. وذلك لما قد يقع فيها من المساهلة، مع أن الحفظ خوان، ولذلك امتنع جماعة من أعلام الحفاظ من رواية ما يحفظونه إلا من كُتبهم، منهم أحمد بن

---

(١) جامع بيان العلم ٢/ ١٢٢٥ رقم ٢٤١١

(٢) الموقظة في علم مصطلح الحديث للإمام الذهبي ١/ ٦٤ عناية: عبد الفتاح أبو غُدّة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ط: ٢/ ١٤١٢ هـ.

حنبل، رضي الله عنهم أجمعين[١].

قلت: وإليك نَص بعضها: أخرج الخطيب في جامعه عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ، يَقُولُ: «حَرَامٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا، عَنِّي فِي الْمُذَاكَرَةِ حَدِيثًا لِأَنِّي إِذَا ذَاكَرْتُ تَسَاهَلْتُ فِي الْحَدِيثِ»[٢]. وله أيضًا عن عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: «لَا تَحْمِلُوا عَنِّي فِي الْمُذَاكَرَةِ شَيْئًا» قَالَ أَبُو زُرْعَةَ: وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: لَا تَحْمِلُوا عَنِّي فِي الْمُذَاكَرَةِ شَيْئًا قَالَ أَحْمَدُ: وَقَالَ لِي أَبُو زُرْعَةَ: لَا تَحْمِلُوا عَنِّي فِي الْمُذَاكَرَةِ شَيْئًا [٣].

الفريق الثاني: أجاز التحمل **بالمذاكرة** كابن الصلاح وغيره، بشرط بيان ذلك عند الأداء، قال ابن الصلاح: إذا كان سماعه على صفة فيها بعض الوَهَن فعليه أن يذكرها في حالة الرواية، فإن في إغفالها نوعا من التدليس[٤].

قال العراقي: ثُمَّ عَلَى السَّامِعِ بِالْمُذَاكَرَهْ .:. بَيَانُهُ كَنَوْعِ وَهْنٍ خَامَرَهْ

إذا سمعَ مِنَ الشيخِ مِنْ حفظِهِ في حالةِ المذاكرةِ، فعليهِ بيانُ ذلكَ بقولِهِ: حَدَّثَنَا مذاكرةً، أو في المذاكرةِ، ونحوِ ذلكَ؛ لأنهم يتساهلونَ في المذاكرةِ"[٥].

قال ابن أبي حاتم: "ومِنْ أمثلة مَنْ كان يفعلُ ذلك ممَّن أشار إليهم الخطيبُ: أبو حاتمٍ الرازي، فقد ترجَمَ ابنه عبد الرحمن لمحمَّد بن نُبَاتة السَّرِيِّ فقال: روى عن أبي

(١) معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح ٢٣٤ المحقق: نور الدين عتر، نشر دار الفكر بسوريا، ودار الفكر المعاصر ببيروت ١٤٠٦ هـ. وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٨٠

(٢) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٣٧ رقم ١١١١ وإسناده جيد.

(٣) المرجع السابق ٢/ ٣٧ رقم ١١١٢

(٤) معرفة أنواع علوم الحديث ٢٣٤

(٥) شرح (التبصرة والتذكرة = ألفية العراقي) للعراقي ٢/ ١٣ المحقق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين فحل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٢٣ هـ.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

عاصمٍ النَّبِيلِ، سمع منه أبي في المذاكرة حديثًا فاسْتَحْسَنَهُ فكَتَبه[1].

قلت: وإن كان الظاهر من كلام ابن الصلاح أن البيان واجب، وفي كلامِ الخطيبِ: إِنَّهُ ليسَ بحتمٍ، فإِنَّهُ قالَ: وَاسْتَحِبُّ لِمَنْ حَفِظَ عَنْ بَعْضِ شُيُوخِهِ فِي الْمُذَاكَرَةِ شَيْئًا وَأَرَادَ رِوَايَتَهُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ حَدَّثَنَاهُ فِي الْمُذَاكَرَةِ، فَقَدْ كَانَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ مُتَقَدِّمِي الْعُلَمَاءِ يَفْعَلُ ذَلِكَ[2].

قال ابن أبي حاتم: وأصبَحَ المحدِّثون يَكْشِفون عِلَلَ الأحاديثِ أحيانًا بهذا؛ فينظرون في غَلَط المحدِّث، مع كيفيَّةِ تلقِّيه للحديثِ، فإنْ كان أَخَذَهُ في مجلسِ المذاكرة؛ عَرَفُوا أنَّ العِلَّةَ وقَعَتْ بسبب تحديثِ الشيخِ بهذا وهو غير مُتَهَيِّئٍ للتحديث[3].

٢- صيغة الأداء فيما تحمله الراوي بالمذاكرة:

تعددت صيغ الأداء لما تحمله الرواة مذاكرة، فكام من أهمها أن يقول الراوي: "حدَّثَنا فلانٌ مذاكَرةً"، وألحق الإمام السخاوي في فتح المغيث: "مَا يُورِدُهُ الْبُخَارِيُّ فِي (صَحِيحِهِ) عَنْ شُيُوخِهِ بِصِيغَةِ: قَالَ لِي. أَوْ: قَالَ لَنَا. أَوْ: زَادَنَا. أَوْ: زَادَنِي. أَوْ: ذَكَرَ لَنَا. أَوْ: ذَكَرَ لِي. وَنَحْوِهَا؛ مِمَّا حَمَلَهُ عَنْهُمْ فِي الْمُذَاكَرَةِ"[4].

قلت: إلا أن ابن حجر -شيخ السخاوي- نفى ذلك في حق البخاري، فقال: "فَأَما إِذا قَالَ البُخَارِيّ قَالَ لنا. أَو: قَالَ لي ... إلخ، فَهُوَ وَإِن ألحقهُ بعض من صنف فِي الْأَطْرَاف بالتعاليق فَلَيْسَ مِنْهَا؛ بل هُوَ مُتَّصِل صَرِيح فِي الِاتِّصَال ... مَعَ أَن بعض الْأَئِمَّة ذكر أَن ذَلِك مِمَّا حمله عَن شَيْخه فِي المذاكرة، وَالظَّاهِر أَن كل ذَلِك تحكم،

(١) العلل لابن أبي حاتم ١/ ٨٧ تحقيق: فريق من الباحثين، الناشر: مطابع الحميضي، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٣٧ رقم ١١١٣

(٣) العلل لابن أبي حاتم ١/ ٨٧

(٤) فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، للسخاوي ٣/ ١٠٦

وَإِنَّمَا لِلْبُخَارِيّ مَقصد فِي هَذِه الصِّيغَة وَغَيرهَا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي بِهَذِهِ الصِّيغَة إِلَّا فِي المتابعات والشواهد أَو فِي الْأَحَادِيث الْمَوْقُوفَة، فقد رَأَيْته فِي كثير من الْمَوَاضِع الَّتِي يَقُول فِيهَا فِي الصَّحِيح قَالَ لنا قد سَاقهَا فِي تصانيفه بِلَفْظ حَدَّثنا وَكَذَا بِالْعَكْسِ[(١)].

مثال لصيغة التحمل عند المحدثين تفيد أنهم سمعوه حال المذاكرة: أخرج أبو عوانة في مسنده عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: اجْتَمَعْتُ أَنَا وَالزُّهْرِيُّ **فَتَذَاكَرْنَا تَسْلِيمَةً** وَاحِدَةً، فَقَالَ الزُّهْرِيُّ: تَسْلِيمَةٌ وَاحِدَةٌ، فَقُلْتُ أَنَا ابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ(عامر) أَحْدَثَ بِهَا عَلَيْكَ، حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُسَلِّمُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ»[(٢)].

قال السخاوي: "هذه صيغة من صيغ التحمل عند المحدثين تفيد فيما سمعوه حال المذاكرة"[(٣)].

٣- تدليس المذاكرة:

وتدليس المذاكرة، فرواية الراوي ما سمعه بطريق المذاكرة من غير أن يبين أنه سمعه مذاكرة، وهو في ذلك عامد متساهل، غير ناسٍ ولا واهم، يريد إخفاء طريقة تحمله للرواية. وقال ابن حزم: "وأما المدلِّسُ فينقسمُ إلى قِسْمَيْنِ، أحدُهُمَا: حافظٌ عدلٌ ربَّما أرسَلَ حديثَهُ، وربَّما أسنَدَهُ، **وربَّما حدَّث به على سَبِيلِ المذاكرة**، أو الفُتْيَا"[(٤)].

---

(١) تغليق التعليق على صحيح البخاري ٢/ ١٠ المحقق: سعيد القزقي، نشر المكتب الإسلامي، دار عمار ببيروت، عمان الأردن، ط ١/ ١٤٠٥ه

(٢) مستخرج أبي عوانة ١/ ٥٤٨ رقم ٢٠٤٩ تحقيق: أيمن الدمشقي، الناشر: دار المعرفة بيروت، ط: الأولى ١٤١٩هـ. والحديث إسناده صحيح.

(٣) فتح المغيث ٢/ ١٦٢

(٤) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم الظاهري ١/ ١٤١ تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٤- وقت المذاكرة عند علماء الحديث:

الحقيقة أن علماء الحديث وغيرهم من أهل الفنون الأخرى لم يّنصوا على تحديد وقت للمذاكرة، وإنما اختلفت فيه أحوالهم كل بحسب حاله ونشاطه لكن الذي استُنْبط من فعل الأغلب هو اختيار أوقات الليل: فكان بعضهم يُذاكر من بعد صلاة العشاء إلى الفجر، وكان بعهم ينام من الليل ثم يستيقظ وقت السَّحر، وبعضهم كان يذاكر بعد صلاة الصبح. وهذا توضحه الروايات الآتية:

أخرج الدارمي في سننه عن اللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ يَقُولُ: " تَذَاكَرَ ابْنُ شِهَابٍ لَيْلَةً بَعْدَ الْعِشَاءِ حَدِيثًا وَهُوَ جَالِسٌ فَتَوَضَّأَ، قَالَ: فَمَا زَالَ ذَلِكَ مَجْلِسَهُ حَتَّى أَصْبَحَ، قَالَ مَرْوَانُ: "جَعَلَ يَتَذَاكَرُ الْحَدِيثَ"[(١)].

أخرج الخطيب في الفقيه والمتفقه، باب: مَا جَاءَ فِي الْمُذَاكَرَةِ بِالْفِقْهِ لَيْلًا عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مُوسَى: أَنَّ أَبَاهُ، أَتَى عُمَرَ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَقَالَ: «مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا مُوسَى السَّاعَةَ؟ » قَالَ: نَتَذَاكَرُ الْفِقْهَ، قَالَ: فَجَلَسْنَا لَيْلًا طَوِيلًا نَتَذَاكَرُ، قَالَ أَبُو مُوسَى: الصَّلَاةُ، فَقَالَ عُمَرُ: «إِنَّا فِي صَلَاةٍ»، قَالَ: فَتَذَاكَرَا حَتَّى كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْفَجْرِ[(٢)].

والمقصود بقوله "الصلاة" صلاة النافلة لا الفريضة. وَقَالَ فُضَيْلُ بْنُ غَزْوَانَ: "كُنَّا نَجْلِسُ أَنَا وَمُغِيرَةُ، وَعَدَّدَ نَاسًا، نَتَذَاكَرُ الْفِقْهَ فَرُبَّمَا لَمْ نَقُمْ حَتَّى نَسْمَعَ النِّدَاءَ بِصَلَاةِ الْفَجْرِ[(٣)].

وعِلةُ **اختيار هذه الأوقات للمذاكرة** ما أخرجه الخطيب في جامعه: "وأفضلُ المُذَاكرةِ مُذَاكرةُ الليلِ، وكانَ جماعةٌ مِنَ السلفِ يَبدأونَ مِنَ العِشاءَ، وربما لمْ يقوموا حتى يسمعوا أذان

(١) سنن الدارمي في المقدمة، باب مذاكرة العلم ١/ ٢٢٦ إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٢) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٢/ ٢٦٧

(٣) تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام للذهبي ٣/ ٧٣٨ ت: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي، ط: ١ ٢٠٠٣م.

الصبح"[١]. وأخرج أيضًا قول الْمُنْذِرُ لِلنُّعْمَانِ ابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ أُحِبُّ لَكَ النَّظَرَ فِي الْأَدَبِ بِاللَّيْلِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ بِالنَّهَارِ طَائِرٌ وَبِاللَّيْلِ سَاكِنٌ، فَكُلَّمَا أَوْعَيْتَ فِيهِ شَيْئًا عَلِقَهُ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا اخْتَارُوا الْمُطَالَعَةَ بِاللَّيْلِ لِخُلُوِّ الْقَلْبِ، فَإِنَّ خُلُوَّهُ يُسْرِعُ إِلَيْهِ الْحِفْظَ. وروى أيضًا عن إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: "قِيلَ لِحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ: مَا أَعْوَنُ الْأَشْيَاءِ عَلَى الْحِفْظِ؟ قَالَ: قِلَّةُ الْغَمِّ" وَلَيْسَ يَكُونُ قِلَّةُ الْغَمِّ إِلَّا مَعَ خُلُوِّ السِّرِّ وَفَرَاغِ الْقَلْبِ. وَاللَّيْلُ أَقْرَبُ الْأَوْقَاتِ مِنْ ذَلِكَ[٢].

وأخرج قول إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَبِي أُوَيْسٍ: إِذَا هَمَمْتَ أَنْ تَحْفَظَ شَيْئًا فَنَمْ وَقُمْ عِنْدَ السَّحَرِ فَأَسْرِجْ وَانْظُرْ فِيهِ فَإِنَّكَ لَا تَنْسَاهُ بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللهُ[٣].

٥- الشروط التي ينبغي توافرها فيمن يُذاكَر معه:

لم يشترط العلماء شروطا واضحة ينبغي توافرها فيمن يختاره للمذاكرة معه، لكنهم طلبوا وأكدوا على ضوابط معينة، أهمها ما قاله الإمام النووي: "ومذاكرة حاذق في الفن ساعة أنفع من المطالعة والحفظ ساعات بل أياما وليكن في مذاكراته متحريًا الإنصاف قاصدًا الاستفادة أو الإفادة غير مترفع على صاحبه بقلبه ولا بكلامه ولا بغير ذلك من حاله مخاطبًا له بالعبارة الجميلة اللينة فبهذا ينمو علمه وتزكو محفوظاته"[٤]. قال الإمام أبو زرعة الرازي رحمه الله: "لا تذاكروا من لا يحسن، فيشككم فيما تحسنون!"[٥].

قلت: هذا فيمن أرد التثبت والفقه، وغير ذلك، أما من لم يرد بمذاكرته إلا الاستذكار والحفظ فلا يشترط ذلك، بل على العكس كان أحدهم يُذاكر نفسه، أو

(١) الفقيه والمتفقه ٢/ ٢٦٥ والمجموع شرح المهذب للنووي ١/ ٣٨

(٢) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٢٦٥ رقم ١٨٠٨

(٣) المرجع السابق ٢/ ٢٦٥ رقم ١٨٠٩ و١٨١٠

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي ١/ ٤٨

(٥) المكتبة الشاملة، أرشيف ملتقى أهل الحديث ١٢٠/ ٨٠

الصبيان، أو جاريته، أو الحائط، أو مجموعة من الناس.

وهنا أسوق بعض النصوص المُوضحة:

فقد أخرج الدارمي في سننه عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ: كَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَجَاءٍ «يَجْمَعُ صِبْيَانَ الْكُتَّابِ، يُحَدِّثُهُمْ، يَتَحَفَّظُ بِذَلِكَ»(١). وأخرج أيضًا عن ابْن شِهَابٍ أنه كان «يُحَدِّثُ الْأَعْرَابَ»(٢).

وللدارمي كذلك عَنْ إِبْرَاهِيمَ النخعي قَالَ: «حَدِّثْ حَدِيثَكَ مَنْ يَشْتَهِيهِ وَمَنْ لَا يَشْتَهِيهِ، فَإِنَّهُ يَصِيرُ عِنْدَكَ كَأَنَّهُ إِمَامٌ تَقْرَؤُهُ»(٣).

وأخرج الخطيب في الجامع في باب مُذَاكَرَةُ الْحَدِيثِ مَعَ عَامَّةِ النَّاسِ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ: أَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ الْعِلْمَ مِنْ عُرْوَةَ وَغَيْرِهِ، فَيَأْتِي إِلَى جَارِيَةٍ لَهُ وَهِيَ نَائِمَةٌ فَيُوقِظُهَا فَيَقُولُ: اسْمَعِي حَدَّثَنِي فُلَانٌ كَذَا وَفُلَانٌ كَذَا، فَتَقُولُ: مَالِي وَمَا لِهَذَا الْحَدِيثِ؟ فَيَقُولُ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ لَا تَنْتَفِعِينَ بِهِ وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ الْآنَ فَأَرَدْتُ أَنْ أَسْتَذْكِرَهُ(٤).

وأخرج ابن عبد البر أَنَّ عَطَاءً الْخُرَاسَانِيَّ «كَانَ إِذَا لَمْ يَجِدْ أَحَدًا أَتَى الْمَسَاكِينَ فَحَدَّثَهُمْ، يُرِيدُ بِذَلِكَ الْحِفْظَ». وله أيضًا أَنَّ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، كَانَ إِذَا لَمْ يَجِدْ أَحَدًا يُحَدِّثُهُ يُحَدِّثُ جَوَارِيَهُ ثُمَّ يَقُولُ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُنَّ لَسْتُنَّ لَهُ بِأَهْلٍ» يُرِيدُ بِذَلِكَ الْحِفْظَ(٥) ... إلخ قضايا ذلك المبحث المهم.

(١) سنن الدارمي في المقدمة باب مذاكرة العلم ١/ ٤٨١ رقم ٦٢٩ والأثر إسناده صحيح.

(٢) المرجع السابق رقم ٦٢٨ والأثر إسناده صحيح.

(٣) المرجع السابق رقم ٦٣٠ والأثر إسناده صحيح.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٢٦٨ رقم ١٨٢٤ حديث مقطوع.

(٥) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ١٤٥٤ رقم ٧١٣ و٧١٤

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

المبحث الثاني

بيان أثر المذاكرة في إحياء الحديث النبوي وحفظه في حياة النبي ﷺ وصحابته والتابعين لهم بإحسان

لا ريب أن المدقق يستطيع أن يتلمس جذور المذاكرة في حياة النبي ﷺ، واستقرارها ورسوخها في حياة الصحابة، والتابعين وتابعيهم إلى آخر القرن الخامس الهجري - زمن انتهاء عصر الرواية على خلاف بين العلماء- فما بعده، وإن لم تتوقف المذاكرة بعد ذلك ولكن على استحياء؛ فالناظر قلما يجد لطلاب العلم مجلسًا راتبا يذاكرون فيه العلم مع شيوخهم وأقرانهم، بل إن بعضهم ينكفئ على شيخ واحد لا يراوح قدمه من عنده ينافح عنه، وينبذ ما عداه.

المطلب الأول: الأثر التعليمي للمذاكرة في حياة النبي ﷺ ودوره في إحياء الحديث النبوي:-

المتتبع لسيرة النبي ﷺ ما فتِئ يجد الأثر التعليمي للمذاكرة واضحًا في حياته ﷺ، وذلك ما نلمسه في اهتمامه ﷺ بالمحافظة على ذاكرة الصحابة قوية، ولتحقيق ذلك نهاهم عن كتابة الحديث والاكتفاء بكتابة القرآن الكريم وحده وقت نزول الوحي، كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ"(١)؛ وذلك لأسباب يأتي في مقدمتها كما يقول النووي: أن النهي عن الكتابة كان في حق من يوثق بحفظه ويخاف اتكاله على الكتابة(٢)، ولا غَرو فَعِلم ينُهى عن كتابته لا يدوم حفظه إلا بمذاكرته ومدارسته بصفة دائمة. وسأوجز أثر

(١) صحيح مسلم في الزهد والرقائق، باب التَّثَبُّتِ فِي الْحَدِيثِ وَحُكْمِ كِتَابَةِ الْعِلْمِ ٤/ ٢٢٩٨ رقم ٣٠٠٤ وغيره.

(٢) قال النووي: "قَالَ الْقَاضِي: كَانَ بَيْنَ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ فِي كِتَابَةِ الْعِلْمِ فَكَرِهَهَا كَثِيرُونَ مِنْهُمْ وَأَجَازَهَا أَكْثَرُهُمْ، ثم أجمع المسلمون على جوازها وزال ذلك الخلاف" المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي ١٨/ ١٢٩

المذاكرة التعليمي في حياة النبي ﷺ ودوره في إحياء الحديث النبوي في نقاط أهمها:

١- النبي ﷺ يطبق المُذاكرة عمليًّا (ذاكر الأنبياء ليلة الإسراء في أمر الساعة):

أخرج ابن ماجه في سننه والحاكم في مستدركه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِرَسُولِ ﷺ، لَقِيَ إِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَتَذَاكَرُوا السَّاعَةَ مَتَى هِيَ، فَبَدَأُوا بِإِبْرَاهِيمَ فَسَأَلُوهُ عَنْهَا، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْهَا عِلْمٌ، فَسَأَلُوا مُوسَى فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْهَا عِلْمٌ، فَرَدُّوا الْحَدِيثَ إِلَى عِيسَى، فَقَالَ: عَهْدُ اللهِ إِلَيَّ فِيهَا دُونَ وَجْبَتِهَا، فَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَذَكَرَ خُرُوجَ الدَّجَّالِ وَقَالَ: فَأَهْبِطُ فَأَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ، فَيَسْتَقْبِلُهُمْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ...[1].

٢- مُذاكرة النبي ﷺ القرآن الكريم ومُدارسته مع جبريل عليه السلام في كل ليلة من رمضان من كل عام:

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»، ورواه مسلم بلفظ "... إِنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام كَانَ يَلْقَاهُ، فِي كُلِّ سَنَةٍ، فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْقُرْآنَ ..."[2]. قال ابن حجر: فيدارسه القرآن: قيل الحكمة فيه أن مدارسة القرآن تجدد له العهد بمزيد غنى النفس، والغنى سبب الجود، والجود في الشرع إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي، وهو أعم من

(١) سنن ابن ماجه، في الفتن، باب فتنة الدجال، ٥/ ٢٠٨ ٤٠٨١ والمستدرك للحاكم ٤/ ٥٣٤ رقم ٨٥٠٢ وقال: "صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ" ووافقه الذهبي، والمصنف لابن أبي شيبة ١/ ٢٥٠ رقم ٣٠٣ وغيرهما. قال البوصيري في مصباح الزجاجة: إِسْنَاد صَحِيح رِجَاله ثِقَات، مُؤثر بن عفازة ذكره ابْن حبَان فِي الثِّقَات وَبَاقِي رجال الْإِسْنَاد ثِقَات ٤/ ٢٠٢

(٢) صحيح البخاري في بدء الوحي، باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ١/ ٨ رقم ٦ وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير ٣/ ١٨٠٣ رقم ٢٣٠٨ وغيرهما.

الصدقة، وأيضا فرمضان موسم الخيرات؛ لأن نعم الله على عباده فيه زائدة على غيره، فكان النبي ﷺ يؤثر متابعة سنة الله في عباده، فبمجموع ما ذكر من الوقت والمَنْزول به والنَّازل **والمذاكرة**؛ حصل المزيد في الجود. والعلم عند الله تعالى [١]. وقال في موضع آخر: فيدارسه القرآن: ظاهره أن كلًا منهما كان يقرأ على الآخر، وهي موافقة لقوله (يعارضه) فيستدعي ذلك زمانًا زائدًا على ما لو قرأ الواحد، ولا يعارض ذلك قوله تعالى: {سنقرئك فلا تنسى} إذا قلنا إن (لا) نافية كما هو المشهور وقول الأكثر، لأن المعنى أنه إذا أقرأه فلا ينسى ما أقرأه، ومن جملة الإقراء مدارسة جبريل، أو المراد أن المنفي بقوله {فلا تنسى} النسيان الذي لا ذكر بعده، لا النسيان الذي يعقبه الذكر في الحال، حتى لو قدر أنه نسي شيئا؛ فإنه يذكره إياه في الحال [٢]. قلت: ولا تفترق هذه الحالة – مدارسة جبريل النبي القرآن– عما سلف من تعريف المذاكرة.

٣-أَمْر النبي ﷺ أصحابه باستذكار القرآن:

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: بِئْسَمَا لِأَحَدِهِمْ يَقُولُ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ هُوَ نُسِّيَ، اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ، مِنَ النَّعَمِ بِعُقُلِهَا[٣].

قال الكرماني: "السين" في استذكروا للمبالغة أي اطلبوا من أنفسكم المذاكرة به وهو عطف من حيث المعنى على (بئسما) أي لا تُقصروا في معاهدته واستذكروه[٤].

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ١/ ٣١ الناشر: دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩ هـ.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩/ ٤٥

(٣) صحيح البخاري في فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده ٦/ ١٩٣ رقم ٥٠٣٢ وصحيح مسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب فضائل القرآن وما يتعلق به ١/ ٥٤٤ رقم ٧٩٠ وغيرهما. واللفظ لمسلم.

(٤) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري لمحمد بن يوسف الكرماني ١٩/ ٣٧ رقم ٤٧١٢ دار إحياء التراث العربي، بيروت ١/ ١٣٥٦هـ.

قلت: واستذكار القرآن كما في الرواية يكون بقراءة كل أحد منفردًا أو في جماعة.

أما كيفية استذكاره في جماعة، فحاصله ما قاله القرطبي في المنتقى، في شرحه للأثر الذي أخرجه الإمام مالك في الموطأ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ فِي قَوْمٍ وَهُمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ؛ فَذَهَبَ لِحَاجَتِهِ، ثُمَّ رَجَعَ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَلَسْتَ عَلَى وُضُوءٍ؟ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: «مَنْ أَفْتَاكَ بِهَذَا أَمُسَيْلِمَةُ»[1]، فقال: قَوْلُهُ: "كَانَ فِي قَوْمٍ يَقْرَءُونَ" دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الِاجْتِمَاعِ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَى مَعْنَى الدَّرْسِ لَهُ وَالتَّعْلِيمِ وَالْمُذَاكَرَةِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَقْرَأَ الْمُتَعَلِّمُ عَلَى الْمُعَلِّمِ، أَوْ يَقْرَأُ الْمُعَلِّمُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ، أَوْ يَتَسَاوَيَا فِي الْعِلْمِ فَيَقْرَأُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ عَلَى وَجْهِ الْمُذَاكَرَةِ لَهُ وَالْمُدَارَسَةِ لَهُ[2].

وأخرج ابن حجر في الإصابة عن عبيد بن صخر بن لوذان، قال: أمر النبيّ ﷺ عمّال اليمن جميعا، فقال: «تعاهدوا القرآن بالمذاكرة»[3]. ورواه أبو نعيم الأصبهاني عَنْ عُبَيْدِ بْنِ صَخْرِ بْنِ لَوْذَانَ، وَكَانَ، مِمَّنْ بَعَثَهُ ﷺ مَعَ عُمَّالِهِ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عُمَّالَ الْيَمَنِ جَمِيعًا فَقَالَ: «تَعَاهَدُوا النَّاسَ بِالْمُذَاكَرَةِ وَأَتْبِعُوا الْمَوْعِظَةَ الْمَوْعِظَةَ؛ فَإِنَّهُ أَقْوَى لِلْعَامِلِينَ عَلَى الْعَمَلِ بِمَا يُحِبُّ اللهُ، وَلَا تَخَافُوا فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» رَوَاهُ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ سَعْدٍ الزُّهْرِيُّ

(١) كتاب القرآن باب: بَابُ الرُّخْصَةِ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَى غَيْرِ وُضُوءٍ ١/ ٢٠٠ رقم ٢ والأثر منقطع، فمحمد بن سيرين لم يدرك عمر بن الخطاب، فقد ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان بن عفان ﷺ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/ ٦٠٧

(٢) المنتقى شرح الموطأ، لأبي الوليد سليمان القرطبي ١/ ٣٤٥ الناشر: مطبعة السعادة – مصر، ط: الأولى ١٣٣٢ هـ.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٤/ ٣٤٤ وأُسد الغابة لابن الأثير ٣/ ٣٥٦ رقم ٣٥٠٣ والحديث ضعيف ضعفه ابن السكن، لكنه يتقوى بما ورد في صحيحي البخاري ومسلم في الكتابين والبابين السابقين، بنحوه «تَعَاهَدُوا القُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا».

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

عَنْ عَمِّهِ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ سَيْفٍ مِثْلَهُ"(١).

قلت: وضح لنا من خلال الروايتين حرص النبي ﷺ على تعاهد أصحابه وحثهم على تعاهد القرآن الكريم بالمذاكرة؛ لأنه الدستور الذي سيظل تُكتشف معانيه، وهداياته، ومنحه، وعطاياه للبشرية إلى أن يرث الله الأرض، وهذا ما وحته الرواية الثانية" تعاهدوا الناس بالمذاكرة"؛ لأن الإسلام، وكتابه، ونبيه، وأمته جاءوا للعالمين منذرين ومبشرين.

٤- ممارسة النبي ﷺ المذاكرة مع أصحابه (مذاكرته ﷺ حمزةَ بن عبد المطلب ،وزوجتَه) :

أخرج أحمد في مسنده والطبراني في معجمه عن خَوْلَةَ بِنْتَ قَيْسٍ امْرَأَةَ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ ﷺ يُذَاكِرُ حَمْزَةَ الدُّنْيَا فَقَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ فَإِنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا بُورِكَ لَهُ فِيهَا، وَرُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِي مَالِ اللهِ وَمَالِ رَسُولِهِ لَهُ النَّارُ يَوْمَ يَلْقَاهُ» وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ «يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وفي لفظ لأحمد: (فَتَذَاكَرَا الدُّنْيَا). ولأحمد رواية أخري تبين أن حمزة ﷺ هو من ذَاكر رسول الله ﷺ، فعَنْ خَوْلَةَ أَنَّهَا سَمِعَتْ حَمْزَةَ يُذَاكِرُ النَّبِيَّ ﷺ الدُّنْيَا"(٢).

وفي لفظ للطبراني وابن أبي عاصم أن النبي ﷺ وحمزة، وزوجه خولة تذاكروا الدنيا جميعًا، كما في لفظ هذه الرواية "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى حَمْزَةَ وَكَانَتْ خَوْلَةُ امْرَأَةَ حَمْزَةَ، فَذَكَرُوا الدُّنْيَا"(٣).

قلت: بينت الرواية أن النبي ﷺ عقد مجلسًا للمذاكرة مكون منه ﷺ وحمزة وزوجه

(١) معرفة الصحابة ٤/ ١٩٠٥ تحقيق: عادل العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، ط: الأولى ١٤١٩هـ.

(٢) مسند أحمد ٤٤/ ٦٧٠ رقم ٢٧٠٥٤ و٢٧٠٥٥ والمعجم الكبير للطبراني ٢٤/ ٢٢٩ رقم ٥٨٢ ومسند الحميدي ١/ ٣٤٧ رقم ٣٥٦ واللفظ له، وشعب الإيمان للبيهقي ١٣/ ٥٢٢ رقم ١٠٧١٩ إسناد أحمد صحيح، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابية الحديث فقد روى لها البخاري، ويقال لها أيضًا: خولة بنت ثامر. قاله الأرنؤوط.

(٣) المعجم الكبير ٢٤/ ٢٣٠ رقم ٥٨٥ والآحاد والمثاني لأبي بكر بن أبي عاصم ٦/ ٥٦ رقم ٣٢٦٠

خولة -رضي الله عنهما- تذاكروا فيه الدنيا وكيفية الحذر من فتنها، وفيه أيضًا تواضعه ﷺ وحرصه على نشر العلم وتثبيته في قلوب أصحابه، وذلك بذهابه إلي بيت من بيوت أصحابه لمذاكرتهم أمرًا مهمًا كما مَرَّ، هذا المجلس تحضره النساء والرجال، ألا فلنتعلم!!.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

٥- تدريب النبي ﷺ الصحابة على المذاكرة: بطرح المسائل على التلاميذ ليختبر ما عندهم من العلم:

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ جُلُوسٌ إِذَا أُتِيَ بِجُمَّارِ نَخْلَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَةِ المُسْلِمِ» فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِي النَّخْلَةَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: هِيَ النَّخْلَةُ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ التَفَتُّ فَإِذَا أَنَا عَاشِرُ عَشَرَةٍ أَنَا أَحْدَثُهُمْ فَسَكَتُّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هِيَ النَّخْلَةُ»، واللفظ للبخاري، ورواه مسلم بلفظ "عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟ » فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ فَقَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ»[1]. قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ، قَالَ: لَأَنْ

(١) ش: (مثل المسلم) قال العلماء: شبه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها ودوام ظلها وطيب ثمرها ووجوده على الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى ييبس، وبعد أن ييبس يتخذ منه منافع كثيرة، ومن خشبها وورقها وأغصانها، فيستعمل جذوعا وحطبا وعصيا ومخاصر وحصرا وحبالا وأواني وغير ذلك. ثم آخر شيء منها نواها وينتفع به علفا للإبل ثم جمال نباتها وحسن هيئة ثمرها فهي منافع كلها وخير وجمال، كما أن المؤمن خير كله من كثرة طاعاته ومكارم أخلاقه (فوقع الناس في شجر البوادي) أي ذهبت أفكارهم إلى أشجار البوادي، وكان كل إنسان يفسرها بنوع من أنواع شجر البوادي، وذهلوا عن النخلة]. شرح صحيح مسلم للنووي ١٧/ ١٥٤

تَكُونَ قُلْتَ هِيَ النَّخْلَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا"[١].

قال المهلب: معنى طرح المسائل على التلاميذ لترسخ في القلوب وتثبت، لأن ما جرى منه فى المذاكرة لا يكاد ينسى. وفيه: ضرب الأمثال بالشجر وغيرها[٢]. وبين ابن حجر أن من جملة فوائده: استفسار الشيخ تلميذه عن الحكم ليختبر ما عنده ويُبَيِّن له ما يُشْكِلُ منه[٣]. قلت: وفيه فوائد أُخر:

أ- عَقد النبي ﷺ مجلسًا للمذاكرة مُكون من عشرة من الصحابة الكرام، على رأسهم الصديق أبي بكر، والفاروق عمر، ودُرَّة عقدهم اللؤلؤي، أحدثهم سنًا، عبد الله ابن عمر رضي الله عنهم أجمعين.

ب- طَرح النَّبي ﷺ المسألة ليختبر ما عندهم من العلم كما بوب على ذلك الإمام البخاري.

ج- أخذ كل واحد من الصحابة يجول بخاطره، ويستخدم ما لديه من رصيد فكري ومعرفي، لكنهم ذهبوا إلى أنها من شجر البوادي كشجر الأراك، وغيره.

د- تَفَوَّقَ ابن عمر فسبق بذهنه من معه، فذهب وَهَلَه ووقع في روعه وقلبه أنها "النَّخلة" لكنه استحى رهبة من أكابر الصحابة كأبي بكر وغيره. ولا ريب فالحياء يُضيع العلم، وهو مذموم إلا في هذا الموقف.

هـ- قال النووي: فِيهِ تَوْقِيرُ الْكِبَارِ كَمَا فَعَلَ ابن عُمَرَ لَكِنْ إِذَا لَمْ يَعْرِفِ الْكِبَارُ الْمَسْأَلَةَ

(١) صحيح البخاري في الأطعمة، باب أكل الجمار ٧/ ٨٠ رقم ٥٤٤٤ وفي العلم، باب طَرْحِ الإِمَامِ المَسْأَلَةَ عَلَى أَصْحَابِهِ لِيَخْتَبِرَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ ١/ ٢٢ رقم ٦٢ وصحيح مسلم في صفة القيامة، بَابُ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّخْلَةِ ٤/ ٢١٦٤ رقم ٢٨١١ وغيرهما.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/ ١٤١ لأبي الحسن بن بطال، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط: الثانية ١٤٢٣هـ.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١/ ٤٣٠

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

فَيَنْبَغِي لِلصَّغِيرِ الَّذِي يَعْرِفُهَا أَنْ يَقُولَهَا.

و- قال النووي: فِيهِ سُرُورُ الْإِنْسَانِ بِنَجَابَةِ وَلَدِهِ وَحُسْنِ فَهْمِهِ وَقَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَ هِيَ النَّخْلَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو لِابْنِهِ وَيَعْلَمُ حُسْنَ فَهْمِهِ وَنَجَابَتِهِ[1] ... إلى آخر ذلك من مشاهد هذا المجلس الذي هو بحق مجلس مذاكرة في أسمى معانيه، أضحى بعد ذلك منهجًا علميًا تربويًا لطرائق المذاكرة، والمدارسة، والعصف الذهني. نعم؛ فلقد مارس النبي ﷺ المذاكرة مع أصحابه كما لم ولن تمارس من بعده.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

٦- أوصى النبي ﷺ لكثير من الصحابة بالوتر قبل النوم حتى يتفرغوا لمذاكرة الأحاديث:

أ- أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: «صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ»[2].

ب- وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: أَوْصَانِي حَبِيبِي ﷺ بِثَلَاثٍ لَنْ أَدَعَهُنَّ مَا عِشْتُ: «بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةِ الضُّحَى، وَبِأَنْ لَا أَنَامَ حَتَّى أُوتِرَ»[3]. ورواه الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بلفظ: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ» وقال: قَالَ عِيسَى بْنُ أَبِي عَزَّةَ: «وَكَانَ الشَّعْبِيُّ يُوتِرُ أَوَّلَ اللَّيْلِ ثُمَّ يَنَامُ».

وَقَدْ اخْتَارَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَنْ بَعْدَهُمْ أَنْ لَا يَنَامَ الرَّجُلُ حَتَّى يُوتِرَ[4]. ورواه النسائي عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: أَوْصَانِي حَبِيبِي ﷺ بِثَلَاثَةٍ لَا أَدَعُهُنَّ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى أَبَدًا: «أَوْصَانِي بِصَلَاةِ الضُّحَى، وَبِالْوَتْرِ قَبْلَ النَّوْمِ، وَبِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم ١٧/ ١٥٤

(٢) صحيح البخاري في الصوم، باب صيام أيام البيض ٣/ ٤١ رقم ١٩٨١ وصحيح مسلم في صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحى ١/ ٤٩٨ رقم ٧٢١ وغيرهما واللفظ للبخاري.

(٣) صحيح مسلم في الكتاب والباب السابقين، رقم ٧٢٢ وغيره.

(٤) سنن الترمذي في الصلاة، باب كراهية الوتر قبل النوم رقم ٤٥٥ إسناده صحيح.

شَهْرٍ»[١].

أوصى النبي ﷺ لأبي هريرة وأبي الدرداء وأبى ذر ﷺ وغيرهم من الصحابة أن يوتروا قبل أن يناموا أو يرقدوا. وإن كان الأفضل تأخير الوتر لمن وثق من استيقاظه قبل الفجر، إلا أن النبي ﷺ أمر من شغل أول ليله بمذاكرته لأحاديثه واستحضاره لمحفوظاته بتقديم الوتر، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: قِيلَ سَبَبُهُ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَشْتَغِلُ أَوَّلَ لَيْلِهِ بِاسْتِحْضَارِهِ لِمَحْفُوظَاتِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي لَمْ يُسَايِرْهُ فِي حِفْظِ مِثْلِهَا أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ، فَكَانَ يَمْضِي عَلَيْهِ جُزْءٌ كَبِيرٌ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، فَلَمْ يَكَدْ يَطْمَعُ فِي اسْتِيقَاظِ آخِرِهِ، فَأَمَرَهُ عليه السلام بِتَقْدِيمِ الْوَتْرِ لِذَلِكَ لِاشْتِغَالِهِ بِمَا هُوَ أَوْلَى. اهـ. وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لِسَبَبٍ آخَرَ. وَاللهُ أَعْلَمُ"[٢]. وقال صاحب العَرف الشَّذي: ورُوي أن النبي ﷺ أوصى لأبي هريرة بالوتر قبل النوم لأنه كان يذاكر الأحاديث[٣].

قلت: ومن الفوائد أيضًا: الاهتمام الشديد من رسول الله ﷺ بالعلم وأهله إلى الدرجة أنه أمر الصحابة الذين يشغلون ليلهم بمذاكرة الحديث النبوي بتقديم صلاة الوتر.

ومن الفوائد: العلاقة بين الأستاذ والطالب، علاقة حب شديد، فيقول أبو هريرة: "أوصاني خليلي ﷺ" ويقول أبو الدرداء: "أَوْصَانِي حَبِيبِي ﷺ" ويقول أبو ذر: "أَوْصَانِي حَبِيبِي ﷺ" ... إلى آخر ذلك من نماذج لأثر المذاكرة التعليمي في حياة رسول الله ﷺ، ودوره في إحياء الحديث النبوي.

(١) سنن النسائي في الصوم، باب صوم ثلاثة أيام من كل شهر ٤/ ٢١٧ رقم ٢٤٠٤ وصحيح ابن خزيمة ٢/ ١٤٤ رقم ١٠٨٣ إسناده صحيح.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ملا علي القارئ ٣/ ٩٤٤ رقم ١٢٦٢ نشر دار الفكر، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٢٢ هـ. وقد بحثت عنه فلم أقف عليه لابن حجر العسقلاني في كتاب من كتبه.

(٣) العرف الشذي شرح سنن الترمذي لمحمد أنور شاه الكشميري الهندي ١/ ٤٢٦ رقم ٤٥٥ تصحيح: الشيخ محمود شاكر، نشر دار التراث العربي – بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٢٥ هـ.

٧- النبي ﷺ يأمر من سيتحدث أمام القوم أن يذاكر من هو أعلم منه تجنبًا للخطأ والزلل:

أمر النبي ﷺ شاعره حسان بن ثابت أن يذاكر أبا بكر الصديق أنساب قريش قبل أن يهجوها؛ لأنهم نسبه ﷺ، وبيان ذلك ما أخرجه البخار ومسلم في صحيحيهما عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ» ... ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ حَسَّانُ: ... وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الْأَدِيمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي» فَأَتَاهُ حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ"، واللفظ لمسلم، ورواه الواقدي في المغازي بلفظ "... فَقَالَ حَسَّانُ شِعْرًا، وَأَمَرَهُ رَسُولُ ﷺ أَنْ **يُذَاكِرَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْضَ ذَلِكَ، فَذَاكَرَهُ**"[(١)].

قلت: ما أعظم هذا التوجيه النبوي لحسان بن ثابت الملقب بـ (شاعر الرسول) أن يذاكر أبا بكر ﷺ في أنساب قريش، ويلخصهم له قبل أن يقف أمام الناس ويتكلم، حتى يكون لرسالته الوقع الكامل في التأثير والتغيير، فقال له: اهج فلانًا، وفلانًا، وفلانًا، ولا تهج فلانًا، وفلانًا. ومن ثم فهي رسالة لكل عالم ومتعلم أن يذاكر ويحفظ ويراجع قبل أن يتصدر للكلام.

وليس بخاف علينا أن حسان ﷺ كان بمثابة الجهاز الإعلامي في عصر الرسول ﷺ، وهو جهاز شديد الخطورة؛ إذ إنه (حسان بن ثابت) كان مؤيدًا من السماء، كما في الرواية التي معنا: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ»، فهو تأييد مشروط. وعليه فهي رسالة لكل إعلامي أن يراجع ويدقق فيما يقوله حتى لا

(١) صحيح البخاري في الأدب، باب هجاء المشركين ٨/ ٣٦ رقم ٦١٥٠ وصحيح مسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت ٣/ ١٩٣٥ رقم ٢٤٩٠ والمغازي للواقدي ٢/ ٨٠٧ تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي – بيروت، ط: ٣ – ١٤٠٩/ ١٩٨٩

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

ينقل ما يؤذي ويسيء، فالرسالة الإعلامية قد تهدم أكثر مما تبني، وتدمر أكثر مما تُعمر، ولذا تأمل معي فحوى هذه الرسالة الإعلامية التي حملها حسان، وبراعته وحِرفيته في النقل، وكأنه يمسك بمِشرط جراح ماهر يستأصل الألم من غير أن يترك أثرًا. قال في إكمال المُعلم: يريد: لأتلطفن في تخليص نسبك منهم حتى لا يَغُمك هجوي لهم ... كما يُتلطف في إخراج الشعرة من العجين؛ لئلا ينقطع فيبقى فيه. وخص الخمير لأنه ألين وأهيأ لإخراج الشعرة منه من الفطير لقرحته وشدة عجينه(١).

المطلب الثاني: بيان الأثر التعليمي للمذاكرة في حياة الصحابة رجالا ونساءً، ودوره في إحياء الحديث النبوي.

الصحابة الكرام ﷺ رجالًا ونساءً بشر مِثلنا يصيبون ويُخطئون، ويذكرون وينسون لكنَّ الله اختارهم لنبيه وزراء وأعوانًا، ورُزقوا بحوافظ، وقرائح قوية وَقَّادة، أهلتهم لحفظ الدِّين، ولا ريب فالحديث النبوي أصل من أصول الدين؛ ولأنهم بشر يعتريهم الخطأ والنسيان بدرجة ما، فقد اتخذوا من الوسائل ما يُقلل من ذلك الخطأ والنسيان، وإن شئت قل يمنعه، أو يجعله نادرًا، فاستعانوا بالمذاكرة، والمراجعة، والتعلم، والتدريس، والتثبت من الرواية وناقلها؛ كل ذلك سببه المحافظة على النَّص النبوي سليمًا من التحريف والتبديل، أو النقص والزيادة، فالصحابة كلهم عدول من لابس منهم الفتن ومن لم يلابس، وكذا من تخلل إسلامه رِدَّة، فهم ليسوا كذبة؛ لأن الله رضي عنهم، والله لا يرضى عن الكَاذِبين ... إلخ، وفيما يلي تناول الأثر التعليمي للمذاكرة في حياة الصحابة الكرام رجالًا ونساءً، وقد قسمته إلى ثلاثة أقسام بيانها كالتالي:

(١) إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم للقاضي عِياض ٧/ ٥٢٨ تحقيق: د/ يحْيَى إِسْمَاعِيل، نشر دار الوفاء بمصر ط: ١/ ١٤١٩ هـ.

القسم الأول: الأثر التحفيزي التوجيهي الدَّعوي:

لقد تواترت الروايات عن الصحابة ﷺ في الحث والتحفيز على مُذاكرة الحديث النبوي بشكل خاص، والعلم بشكل عام، فجعلوا مذاكرة ساعة خير من إحياء ليلة، وجعلوا مذاكرة الحديث أفضل من قراءة القرآن الكريم، كما بينوا أن مذاكرة الحديث حياته...إلخ، وهنا أسوق بعضًا من هذه الروايات من باب التوضيح:

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

أ) أخرج الدارمي في سننه عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود ﷺ، قَالَ: «تَذَاكَرُوا هَذَا الْحَدِيثَ، فَإِنَّ حَيَاتَهُ مُذَاكَرَتُهُ»(١)، وروى بسنده عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: «تَذَاكَرُوا الْحَدِيثَ، فَإِنَّ ذِكْرَهُ حَيَاتُهُ»(٢)، وله أيضًا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: «إِحْيَاءُ الْحَدِيثِ مُذَاكَرَتُهُ» فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ شَدَّادٍ: يَرْحَمُكَ اللهُ. كَمْ مِنْ حَدِيثٍ أَحْيَيْتَهُ فِي صَدْرِي، كَانَ قَدْ مَاتَ»(٣). وأخرجه ابن أبي شيبة بلفظ" سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ، يَقُولُ: «تَذَاكَرُوا الْحَدِيثَ فَإِنَّ إِحْيَاءَهُ ذِكْرُهُ»(٤).

ب) أخرج الدارمي في سننه قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، "رُدُّوا الْحَدِيثَ وَاسْتَذْكِرُوهُ. فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ تَذْكُرُوهُ، ذَهَبَ، وَلَا يَقُولَنَّ رَجُلٌ لِحَدِيثٍ قَدْ حَدَّثْتُهُ

---

(١) سنن الدارمي في المقدمة، باب مذاكرة العلم ١/ ٤٨٦ رقم ٦٤٣ ومستدرك الحاكم ١/ ١٧٣ رقم ٣٢٥ وقال قبله «وَقَدْ رُوِيَ فِي الْحَدِيثِ عَلَى مُذَاكَرَةِ الْحَدِيثِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، بِأَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ».

(٢) المرجع السابق ١/ ٤٨٠ رقم ٦٢٧ وإسناده صحيح رجاله ثقات، قبيصة صدوق مقرون بالفريابي وهو ثقة، والمدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي ٢٨٩ رقم ٤٢٣ وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٤٢٤ رقم ٦٢٧

(٣) سنن الدارمي مرجع سابق ١/ ٤٨٠ رقم ٦٢٦ وإسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد الهاشمي، لكن له شواهد تقويه سبق ذكرها في الذي قبله. ومصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٢٨٢ رقم ٢٦١٣٨

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٢٨٥ رقم ٢٦١٣٥

مَرَّةً، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ سَمِعَهُ يَزْدَادُ بِهِ عِلْمًا، وَيَسْمَعُ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ "(١).

ج) أخرج الحاكم في مستدركه قَالَ عَلِيٌّ ﷺ: «تَذَاكَرُوا الْحَدِيثَ فَإِنَّكُمْ إِلَّا تَفْعَلُوا يَنْدَرِسُ»(٢).

د) وأخرج البيهقي في المدخل عن أبي نضرة قال: كَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ﷺ يَقُولُ: مُذَاكَرَةُ الْحَدِيثِ أَفْضَلُ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ(٣).

هـ) أخرج الدارمي في سننه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «تَذَاكَرُوا هَذَا الْحَدِيثَ، لَا يَنْفَلِتْ مِنْكُمْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِثْلَ الْقُرْآنِ مَجْمُوعٌ مَحْفُوظٌ، وَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَذَاكَرُوا هَذَا الْحَدِيثَ يَنْفَلِتْ مِنْكُمْ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ حَدَّثْتُ أَمْسِ فَلَا أُحَدِّثُ الْيَوْمَ، بَلْ حَدِّثْ أَمْسِ، وَلْتُحَدِّثِ الْيَوْمَ، وَلْتُحَدِّثْ غَدًا»(٤).

القسم الثاني: التطبيقي العملي:-

لم يكتف صحابة رسول الله ﷺ بقيامهم بالواجب التحفيزي التوجيهي الدَّعوي تجاه حث إخوانهم من الصحابة رجالًا ونساءً، ثم التابعين من بعدهم على مذاكرة الحديث النبوي بل مارسوا ذلك وطبقوه تطبيقًا عمليًا على نحو لم يسبقوا إليه. وفيما يلي أسوق أدلة ذلك:

أ- ممارسة الصحابة الكرام المذاكرة مع شيوخهم وأقرانهم كتطبيق عملي:

١ - أخرج أبو يعلى في مسنده عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كُنَّا قُعُودًا مَعَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ قَالَ: سِتِّينَ رَجُلًا، فَيُحَدِّثُنَا الْحَدِيثَ ثُمَّ يَدْخُلُ لِحَاجَتِهِ فَنَتَرَاجَعُهُ بَيْنَنَا، هَذَا ثُمَّ هَذَا، فَنَقُومُ كَأَنَّمَا زُرِعَ فِي قُلُوبِنَا.

(١) سنن الدارمي ١/ ٤٨٠ رقم ٦٢٥ إسناده ضعيف، مندل بن علي العنزي ضعيف، لكن ما سبق من طرق يقويه.

(٢) مستدرك الحاكم ١/ ١٧٣ رقم ٣٢٤ وقال: "صحيح عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ".

(٣) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي ص ٣٠٢

(٤) سنن الدارمي في المقدمة، باب مذاكرة العلم ١/ ٤٧٩ رقم ٦٢٤ وشرف أصحاب الحديث للخطيب ص ٩٤ ٩٥ رقم ٢٠٥ والحديث رواته ثقات.

وأخرجه الخطيب في جامعه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «كُنَّا نَكُونُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَسْمَعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ، فَإِذَا قُمْنَا تَذَاكَرْنَاهُ فِيمَا بَيْنَنَا حَتَّى نَحْفَظَهُ»(١).

٢- أخرج الطبراني في المعجم الكبير عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَتَاهُ أَصْحَابُهُ قَالَ: «تَدَارَسُوا وَأَبْشِرُوا وَزِيدُوا زَادَكُمُ اللهُ خَيْرًا، وَأَحَبَّكُمْ وَأَحَبَّ مَنْ يُحِبُّكُمْ، رُدُّوا عَلَيْنَا الْمَسَائِلَ، فَإِنَّ أَجْرَ آخِرِهَا كَأَجْرِ أَوَّلِهَا، وَاخلِطُوا حَدِيثَكُمْ بِالِاسْتِغْفَارِ»(٢).

٣- أخرج الدارمي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ مِنَّا حَدِيثًا، فَتَذَاكَرُوهُ بَيْنَكُمْ»(٣).

ب- كان منهجهم أنهم إذا اجتمعوا استفتحوا بقراءة سورة خفيفة من القرآن ثم تذاكروا العلم:

أخرج الحاكم في المستدرك عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: «أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا جَلَسُوا كَانَ حَدِيثُهُمْ - يَعْنِي الْفِقْهَ - إِلَّا أَنْ يَقْرَأَ رَجُلٌ سُورَةً أَوْ يَأْمُرَ رَجُلًا بِقِرَاءَةِ سُورَةٍ»، وأخرجه الخطيب بلفظ" عَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا اجْتَمَعُوا تَذَاكَرُوا الْعِلْمَ وَقَرَءُوا سُورَةً» ثُمَّ يَسْتَنْصِتُ الْمُسْتَمْلِي النَّاسَ إِنْ سَمِعَ مِنْهُمْ لَغَطًا"(٤).

ونَظم هذا المعنى شهاب الدين الخُوَيِّي، فقال:

---

(١) مسند أبي يعلى ٧/ ١٣١ رقم ٤٠٩١ تحقيق: حسين أسد، نشر دار المأمون للتراث – دمشق، ط: ١، ١٤٠٤ والجامع لأخلاق الراوي ٣/ ٣١٥ والهيثمي في المجمع ١/ ١٦١ رقم ٧٣٢ وقال: رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَفِيهِ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٨/ ٢٩٩ رقم ٧٦٧ والهيثمي في المجمع رقم ٧٣٥ وقال: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرِجَالُهُ مُوَثَّقُونَ.

(٣) المرجع السابق رقم ٦٣١ والأثر ضعيف؛ لكثرة خطأ حجاج بن أرطاة لكنه لا يؤثر فيه، وإسناده حسن لغيره. وسنن الدارمي ١/ ٢٢٤ رقم ٦١٢

(٤) مستدرك الحاكم ١/ ١٧٢ رقم ٣٢٢ وقال: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَلَهُ شَاهِدٌ مَوْقُوفٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ» ووافقه الذهبي، والجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٦٨ رقم ١٢٠٧

ويُستحبُ الفَتْحُ بالقرآنِ .:. لمجلسٍ صار بهذا الشانِ

وبعد ما يَفْرُغُ فيه مَن تلا .:. يَشْرَعُ في استملائِهِ مُبَسْمِلًا

مُحَمْدِلًا مصليًّا ويَقْصِدُ .:. الأكملَ الأبْلَغَ فيما يُحْمَدُ [١]

وقال في فتح المغيث: (وَاسْتَحْسَنُوا) أَيْ أَهْلُ الْحَدِيثِ مِمَّنْ تَصَدَّى لِلْإِمْلَاءِ (الْبَدْءَ) فِي مَجَالِسِهِمْ (بِ) قِرَاءَةِ (قَارِئٍ) هُوَ الْمُسْتَمْلِي كَمَا لِلْخَطِيبِ وَابْنِ السَّمْعَانِيِّ، أَوِ الْمُمْلِي، كَمَا لِلرَّافِعِيِّ أَوْ غَيْرِهِمَا، (تَلَا) شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، الِاخْتِلَافُ فِي التَّعْيِينِ لَا يُنَافِي اجْتِمَاعَهُمْ عَلَى الْقِرَاءَةِ. وَعَيَّنَ الرَّافِعِيُّ وَالْخَطِيبُ أَنْ يَكُونَ الْمَتْلُوُّ سُورَةً، زَادَ الرَّافِعِيُّ: خَفِيفَةً. قَالَ: وَيُخْفِيهَا فِي نَفْسِهِ. كَأَنَّهُ لِكَوْنِهِ أَقْرَبَ إِلَى الْإِخْلَاصِ [٢].

ج- عَقد الصحابةُ مجالسًا لمذاكرة الفقه كالحديث سواءً بسواء، فالفقه عندهم كالحديث في الأهمية والثواب:

أخرج ابن شيبة في مصنفه عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مُوسَى، أَنَّ أَبَا مُوسَى أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: «مَا جَاءَ بِكَ؟ » قَالَ: جِئْتُ أَتَحَدَّثُ إِلَيْكَ، قَالَ: «هَذِهِ السَّاعَةَ؟ » قَالَ: إِنَّهُ فِقْهٌ، فَجَلَسَ عُمَرُ فَتَحَدَّثَا لَيْلًا طَوِيلًا حَسِبْتُهُ قَالَ: ثُمَّ إِنَّ أَبَا مُوسَى قَالَ: الصَّلَاةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: «أَنَا فِي صَلَاةٍ» [٣].

قلت: نلحظ مدى اهتمام الصحابة بفهم النصوص وفقهها، ولم يقفوا جامدين على رواية النص فحسب، وصورة هذا الاهتمام تتجلي في مجيئ أبي موسى الأشعري ﷺ إلى الفاروق عمر ﷺ في العتمة بعد العشاء، فيسأله عمر: «مَا جَاءَ بِكَ؟ » قَالَ: جِئْتُ أَتَحَدَّثُ إِلَيْكَ، قَالَ: «هَذِهِ السَّاعَةَ؟ » قَالَ: إِنَّهُ فِقْهٌ" فيسهر معه عمر ﷺ رغم انشغاله بأمور الرعية، وانشغاله عن ورده من قيام الليل، وكراهته للسمر بعد العشاء، فَيُذَكِّره

(١) نَظْم علوم الحديث المُسماة: «أقصى الأمل والسُّول في علم حديث الرسول ﷺ» ص ٢٥٠

(٢) فتح المغيث ٣/ ٢٥٤

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٢/ ٧٩ رقم ٦٦٩٣

أبو موسى: "الصَّلَاةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟" فيقول: «أَنَا فِي صَلَاةٍ» ألا ما أروع وما أجمل هذا الفقه، فقه الأولويات من صحابة رسول الله ﷺ !!.

د- عَقد الصحابة مجالسًا لمذاكرة القرآن الكريم ،والبحث عن أرجى آية فيه :

أورد القرطبي في تفسيره ما يدلل على ذلك فقال: وَحُكِيَ أَنَّ الصَّحَابَةَ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ تَذَاكَرُوا الْقُرْآنَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ: قَرَأْتُ الْقُرْآنَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ فَلَمْ أَرَ فِيهِ آيَةً أَرْجَى وأحسن من قوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [سورة الإسراء:٨٤](الإسراء: ٨٤) فإنه لا يشاكل بالعبد إلا العصيان ولا يشاكل بالرب إلا الغفران. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: قَرَأْتُ الْقُرْآنَ مِنْ أَوَّلِهِ إلى آخره فلم أرى فِيهِ آيَةً أَرْجَى وَأَحْسَنَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. حم. تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقابِ ذِي الطَّوْلِ}(غافر: ١ – ٣) قَدَّمَ غُفْرَانَ الذُّنُوبِ عَلَى قَبُولِ التَّوْبَةِ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ﷺ: قَرَأْتُ جَمِيعَ الْقُرْآنِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ فَلَمْ أَرَ آيَةً أَحْسَنَ وَأَرْجَى مِنْ قوله تَعَالَى: {نَبِّئْ عِبادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}(الحجر: ٤٩). وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: قَرَأْتُ الْقُرْآنَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ فَلَمْ أَرَ آيَةً أَحْسَنَ وَأَرْجَى مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة الزمر:٥٣](الزمر: ٥٣). قال القرطبي: وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ فَلَمْ أَرَ آيَةً أَحْسَنَ وَأَرْجَى مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الأنعام:٨٢](الأنعام: ٨٢)[1].

هـ- المذاكرة كانت بابًا من أبواب تحمل الصحابة -رضوان الله عليهم- للسنة النبوية:

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٢٢ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، ط: ٢/ ١٣٨٤ هـ.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

لا ريب أن المذاكرة كانت بابًا من أبواب تحمل السنة عند الصحابة، فكان الصحابي يسمع ما فاته سماعه من النبي ﷺ في مجلس المُذاكرة. ودليل ذلك روايتان:

الأولى: ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن حُذَيْفَةَ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ ﷺ فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الفِتْنَةِ، قُلْتُ أَنَا كَمَا قَالَهُ: قَالَ: إِنَّكَ عَلَيْهِ أَوْ عَلَيْهَا لَجَرِيءٌ، قُلْتُ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ»، قَالَ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ، وَلَكِنِ الفِتْنَةُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ البَحْرُ، قَالَ: لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا، قَالَ: أَيُكْسَرُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: يُكْسَرُ، قَالَ: إِذًا لاَ يُغْلَقَ أَبَدًا، قُلْنَا: أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ البَابَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا أَنَّ دُونَ الغَدِ اللَّيْلَةَ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ بِحَدِيثٍ لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ، فَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: البَابُ عُمَرُ"[(١)].

الثانية: أخرجها البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عُمَرَ، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي المَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ..."[(٢)].

وأخرج أحمد في مسنده عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: "مَا كُلُّ الْحَدِيثِ سَمِعْنَاهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَصْحَابُنَا عَنْهُ، كَانَتْ تَشْغَلُنَا عَنْهُ رَعِيَّةُ الْإِبِلِ"[(٣)]. قلت: ولا يخفى أن هذه الأحاديث التي غابوا عن سماعها سمعوها من الصحابة مذاكرة.

---

(١) صحيح البخاري في مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة ١/ ١١١ رقم ٥٢٥ وصحيح مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب في الفتن التي تموج كموج البحر ٤/ ٢٢١٨ رقم ١٤٤ وغيرهما.

(٢) صحيح البخاري في العلم، باب التناوب في العلم ١/ ٢٩ رقم ٨٩

(٣) مسند أحمد ٣٠/ ٤٥٠ رقم ١٨٤٩٣ مجمع الزوائد للهيثمي ١/ ١٥٤ رقم ٦٩١ وقال: رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

و- تَحَلُق الصحابة في المسجد للمذاكرة باستمرار حتى قبل صلاة الجمعة ، فنُهوا عن التَّحلق قبل صلاة الجمعة:

بلغ من اهتمام الصحابة بمذاكرة العلم تحلقهم في المسجد النبوي بصفة مستمرة حتى قبل صلاة الجمعة، فنهاهم النبيﷺ عن ذلك، أخرج البيهقي في سننه عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ رَسُولِ ﷺ أَنَّهُ "نَهَى أَنْ يَتَحَلَّقَ النَّاسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ الصَّلَاةِ"(١).

قال الملا على القارئ: "وَتَحَلُّقُ النَّاسِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مُوهِمٌ لِلْغَفْلَةِ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي نُدِبُوا إِلَيْهِ، وَفِي شَرْحِ السُّنَّةِ: فِي الْحَدِيثِ كَرَاهَةُ التَّحَلُّقِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ الصَّلَاةِ لِمُذَاكَرَةِ الْعِلْمِ"(٢).

وقال الخطابي: "نهاهُم عن التّحَلُّقِ والاجتماعِ على المُذاكرة والعِلْمِ قبلَ الصلاةِ، واستحبَّ لهم ذلكَ بعدَ الصلاةِ"(٣).

ز- لم تقتصر مُذاكرة الصحابة على الحديث والفقه فقط ، بل شملت الآداب والسلوك كذلك:

أخرج أبو القاسم الرافعي في التدوين في أخبار قزوين عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يُذَاكِرِ أصحابَهُ وجُلَاسَه في استعمال حسن الأدب بقوله:

وَكُنْ مَعْدِنًا لِلْحِلْمِ وَاصْفَحْ عَنِ الْأَذَى .:. فَإِنَّكَ (رَائِي) مَا عَمِلْتَ وَسَامِعُ

وَأَحْبِبْ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبًّا مُقَارِبًا .:. فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَازِعُ

وَأَبْغِضْ إِذَا أَبْغَضْتَ بُغْضًا مُقَارِبًا .:. فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى الْوُدُّ رَاجِعُ (٤)

---

(١) سنن أبي داود، في الصلاة، باب التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة ٢/ ٣٦٠ رقم ١٠٧٩ وسنن الترمذي في الصلاة، باب ما جاء في كراهية البيع والشراء ... في المسجد ٢/ ١٣٩ رقم ٣٢٢ وقال: "حديث عبد الله بن عَمْرِو بن العاص حديثٌ حَسَنٌ". والسنن الكبرى للبيهقي ٣/ ٣٣١ رقم ٥٩٠٥ واللفظ له، وإسناده حسن.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٢/ ٦١٦

(٣) إصلاح غلط المحدثين للخطابي ص ٢٨ رقم ١٨ تحقيق: د. حاتم الضامن، نشر مؤسسة الرسالة، ط: الثانية ١٤٠٥ هـ.

(٤) التدوين في أخبار قزوين للرافعي ٣/ ٣٠ المحقق: عزيز الله العطاردي، الناشر: دار الكتب العلمية، ط ١٤٠٨ هـ.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

القسم الثالث: تذاكر الصحابة فيما كان يُشْكِلُ عليهم في الدنيا من مسائل العلم وفهم القرآن والسنة وصحة الأحاديث:-

بتتبع كتب المتون والتراجم وجدت أن الصحابة ﷺ ما تركوا مسألة من مسائل العلم، وفهم القرآن الكريم والسنة، وصحة الأحاديث وضبطها إلا عقدوا مجالس لمذاكرتها، ومُدارستها، فرادى وجماعات، في حلهم وترحالهم، وهم في ذلك لم يُقيدهم مكان ولا زمان، فكانوا يتذاكرون في المساجد، والمنازل، والطرقات، يُسهرون ليلهم بالمذاكرة بعد العشاء إلى طلوع الفجر، أضف إلى ذلك أنه كانت لهم زوجات وضَيعات، وأولاد، وتجارات، ومع ذلك لم تُعقهم عن اهتمامهم بتمحيص فُهومهم، وتدقيق ما تجملوه من أمانة نقل العلم إلى من بعدهم صحيحًا سليمًا غير منقوص، ولا مُحرف، ولا مُبدل. وهنا سوف أتناول نماذج لما تذاكروه من مسائل العلم، وفهم القرآن والسنة، وصحة الأحاديث، وبيان ذلك فيما يأتي:

١- كانوا يطلبون في مجالس العلم من أحد الجلساء أن يسألهم؛ لينتفع وينفع جلساءه ويكررون ذلك:

لا يَعْزب عنا أن السؤال هو أحد أوجه تقليب العلم ومذاكرته وحفظه، وفهمه، أخرج الحاكم في مستدركه عن أَبي الطُّفَيْلِ، قَالَ: رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «**سَلُونِي قَبْلَ أَنْ لَا تَسْأَلُونِي وَلَنْ تَسْأَلُوا بَعْدِي مِثْلِي**» قَالَ: فَقَامَ ابْنُ الْكَوَّاءِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا {الذَّارِيَاتِ ذَرْوًا} [الذاريات: ١] قَالَ: «الرِّيَاحُ» قَالَ: فَمَا {الْحَامِلَاتِ وِقْرًا} قَالَ: «السَّحَابُ». قَالَ: فَمَا {الْجَارِيَاتِ يُسْرًا} قَالَ: «السُّفُنُ». قَالَ: فَمَا {الْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا} قَالَ: «الْمَلَائِكَةُ». قَالَ: فَمَنِ {الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ} [إبراهيم: ٢٨] قَالَ: «مُنَافِقُو قُرَيْشٍ».

ورواه البيهقي في الشعب عَنْ خَالِدِ بْنِ عَرْعَرَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ الرَّحْبَةَ فَإِذَا أَنَا بِنَفَرٍ جُلُوسٍ قَرِيبٍ مِنْ ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا، فَقَعَدْتُ مَعَهُمْ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ

فَمَا رَأَيْتُهُ أَنْكَرَ أَحَدًا مِنَ الْقَوْمِ غَيْرِي، فَقَالَ: **أَلَا رَجُلٌ يَسْأَلُ فَيَنْتَفِعَ وَيَنْفَعَ جُلَسَاءَهُ**، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوا}؟ [الذاريات: ١] قَالَ: "الرِّيحُ". قَالَ: ثُمَّ جَلَسَ الرَّجُلُ فَقَالَ عَلِيٌّ: "**أَلَا رَجُلٌ يَسْأَلُ فَيَنْتَفِعَ وَيَنْفَعَ جُلَسَاءَهُ؟**" قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: مَا {الْعَاصِفاتُ عَصْفًا}؟[(١)].

وروى ابن عبد البر في باب ابْتِدَاءِ الْعَالِمِ جُلَسَاءَهُ بِالْفَائِدَةِ وَقَوْلِهِ: سَلُونِي وَحِرْصِهِمْ عَلَى أَنْ يُؤْخَذَ مَا عِنْدَهُمْ عن ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: "دَخَلْنَا عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ فَقَالَ: سَلُونِي؛ فَإِنِّي أَصْبَحْتُ طَيِّبَةً نَفْسِي أُخْبِرْتُ أَنَّ الْكَوْكَبَ ذَا الذَّنَبِ قَدْ طَلَعَ، فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ الدُّخَانُ، أَوْ قَالَ: الدَّجَّالُ قَدْ طَرَقَ، وَسَلُونِي عَنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَسُورَةِ يُوسُفَ"[(٢)]. بينت الروايات أن الحث على السؤال كان شائعًا زمن الصحابة ﷺ وكان وسيلة من وسائل مذاكرة العلم وتثبيته.

٢- **تذاكروا الصدقة:** أخرج ابن ماجه في سننه عن عَبْد اللهِ بْنَ أُنَيْسٍ، أَنَّهُ تَذَاكَرَ هُوَ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَوْمًا الصَّدَقَةَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَمْ تَسْمَعْ رَسُولَ ﷺ حِينَ يَذْكُرُ غُلُولَ الصَّدَقَةِ «أَنَّهُ مَنْ غَلَّ مِنْهَا بَعِيرًا أَوْ شَاةً أُتِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ؟» قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ: بَلَى[(٣)].

---

(١) مستدرك الحاكم ٢/ ٥٠٦ رقم ٣٧٣٦ وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي. وشعب الإيمان للبيهقي ٥/ ٤٥٢ رقم ٣٧٠٤

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٤٦٦ رقم ٧٣٠

(٣) سنن ابن ماجه في الصيام، باب ما جاء في أعمال الصدقة ١/ ٥٧٩ رقم ١٨١٠ ومسند أحمد ٢٥/ ٤٦٣ رقم ١٦٠٦٣ والمعجم الكبير للطبراني ١٣/ ١٤٣ رقم ٣٥٢ والحديث: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة عبد الله بن عبد الرحمن بن الحُباب، ولم يوثقه غير ابن حبان. قاله الأرنؤوط. قلت: والحديث صحيح؛ لشاهد عند الشيخين عن أبي هريرة ﷺ. أخرجه البخاري في الجهاد، باب الغُلُول، رقم ٣٠٧٣ ومسلم في الإمارة، باب غلظ تحريم الغُلُول ٣/ ١٤٦١ رقم ١٨٣١

٣- تذاكروا فيما بينهم صلاة رسول الله ﷺ: أخرج أبو داود في سننه عن عباس بن سهل، قال: " اجتَمَعَ أبو حُميد وأبو أُسَيد وسهل بن سعد ومحمد بن مَسلَمة، فذكروا صلاةَ رسولِ اللهﷺ، فقال أبو حُميد: أنا أعلَمُكم بصلاة رسول الله ﷺ، فذكر بعضَ هذا، قال: ثم ركعَ فوضعَ يَدَيهِ على رُكبَتَيهِ كأنَه قابِضٌ عليهما، ووترَ يَدَيهِ فتجافى عن جَنبَيهِ، قال: ثم سجد فأمكَنَ أنفَه وجَبهَتَه، ونحَّى يَدَيهِ عن جَنبَيهِ، ووضعَ كفيهِ حَذوَ مَنكِبَيهِ، ثم رفعِ رأسَه حتى رجع كل عَظم في مَوضِعِه، حتى فرَغَ، ثم جلس فافتَرَش رِجلَه اليُسرى، وأقبَلَ بصَدرِ اليُمنى على قِبلَتِهِ، ووضع كفه اليُمنى على رُكبَتِهِ اليُمنى، وكفه اليسرى على رُكبَتِه اليُسرى، وأشار بإصبَعِهِ". ورواه أيضًا عن محمد بن عمرو بن عطاء قال: سمعتُ أبا حُميد السَّاعِدِيَّ في عشرةٍ من أصحابِ رسول الله ﷺ منهم أبو قتادة، قال أبو حُمَيد: أنا أعلَمُكم بصلاة رسول الله ﷺ، قَالُوا: مَا كُنْتَ أَقْدَمَنَا لَهُ صُحْبَةً وَلَا أَطْوَلَنَا لَهُ تَبَاعَةً. قَالَ: بَلَى. قَالُوا: فَاعْرِضْ[1]، فذكر الحديثَ"[2].

قلت: اجتمع عشرة من صحابة رسول الله ﷺ لوصف صلاة رسول الله ﷺ، فتذاكروها وتدارسوها، وقد بوب العلماء على هذه الرواية بعدة تراجم تفصح عن وصف تفصيلي لصلاة رسول الله ﷺ، فبوب أبو داود، بقوله: "باب: افتتاح الصلاة" و"باب من ذكر التورك في الرابعة". وبَوَبَ الترمذي "بَابُ مَا جَاءَ أَنَّهُ يُجَافِي يَدَيْهِ عَنْ

(١) فَاعْرِضْ، فِي النِّهَايَةِ: يُقَالُ "عَرَضْتُ عَلَيْهِ أَمْرَ كَذَا، أَوْ عَرَضْتُ لَهُ الشَّيْءَ أَظْهَرْتُهُ وَأَبْرَزْتُهُ إِلَيْهِ أَعْرِضُ بِالْكَسْرِ لَا غَيْرَ، أَيْ: بَيِّنْ عِلْمَكَ بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَمَا تَدَّعِيهِ لِنُوَافِقَكَ إِنْ حَفِظْنَاهُ وَإِلَّا اسْتَفَدْنَاهُ" مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن للمباركفوري ٣/ ٦٧

(٢) سنن أبي داود في الصلاة، باب افتتاح الصلاة، وباب من ذكر التورك في الرابعة ٢/ ٥٤ رقم ٧٣٤ و٩٦٣ وسنن الترمذي في الصلاة، باب ما جاء في أنه يجافي يديه عن جنبيه في الركوع ٢/ ٤٥ رقم ٢٦٠ وقال: "حَدِيثُ أَبِي حُمَيْدٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ"، والسنن الكبرى للبيهقي في الصلاة، باب صفة الركوع ٢/ ١٢١ رقم ٢٥٥٠ وغيرهم، والحديث صحيح.

جَنْبَيْـه فِـي الرُّكُـوعِ". وبَـوَب ابـن ماجـه "بَـابُ رَفْـعِ الْيَـدَيْنِ إِذَا رَكَـعَ وَإِذَا رَفَـعَ رَأْسَـهُ مِـنْ الرُّكُوعِ". و"باب إتمام الصلاة"(١).

وبَـوَبَ البيهقـي "بَـابُ كَيْفِيَّـةِ الْجُلُـوسِ فِـي التَّشَـهُّدِ الْأَوَّلِ وَالثَّـانِي" و"بـابُ المُكـثِ بَـينَ السَّجدَتَينِ"(٢). وبَوَب الدَّارمي "بَابُ صِفَةِ صَلَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ"(٣) ... إلخ.

كـل هـذه الاسـتنباطات تـذاكرها صـحابة رسـول الله ﷺ، وذكـر بعضـهم بعضًـا بهـا؛ لأنهـم بفعلهـم هـذا يضـربون المثـل والمثـال للأجيـال بعـدهم في ضـرورة إحيـاء الصـفة الصـحيحة للصلاة، وتطبيقها على مثال صلاة رسول الله ﷺ، وكيف كان يصلي؟.

ومما يُستفاد أنه ينبغي في المذاكرة أن يبادر من رزق الحظ الأقوى والعلم الأكثر بعرض ما عنده لتعم الفائدة كما فعل أبو حميد الساعدي ﷺ وقال: أنا أعلَمُكم بصلاة رسول الله ﷺ.

٤- تذاكروا فيما بينهم ماذا يصنعون برسول الله ﷺ، أين يدفنونه؟

أخرج الإمام مالك في موطأه؛ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تُوُفِّيَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَدُفِنَ يَوْمَ الثُّلاَثَاءِ. وَصَلَّى النَّاسُ عَلَيْهِ أَفْذَاذًا لاَ يَؤُمُّهُمْ أَحَدٌ. فَقَالَ نَاسٌ: يُدْفَنُ عِنْدَ الْمِنْبَرِ. وَقَالَ آخَرُونَ: يُدْفَنُ بِالْبَقِيعِ. فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ مَا دُفِنَ نَبِيٌّ قَطُّ إِلاَّ فِي مَكَانِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَحُفِرَ لَهُ فِيهِ"(٤).

وأخرجه الترمذي في سننه عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ،

---

(١) سنن ابن ماجه كتاب الصلاة، بَابُ: رَفْعِ الْيَدَيْنِ إِذَا رَكَعَ وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرُّكُوعِ، وباب: إتمام الصلاة، رقم ٨٦٢ و١٠٦١.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي رقم ٢٨١٤ و٢٧٤٧

(٣) سنن الدارمي في الصلاة، باب صِفَةِ صَلَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رقم ١٣٩٦

(٤) موطأ مالك في الجنائز، باب ما جاء في دفن الميت ٢/ ٣٢٣ رقم ٧٩٠ قال ابن عبد البر: هَذَا الْحَدِيثُ لَا أَعْلَمُهُ يُرْوَى عَلَى هَذَا النَّسَقِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ غَيْرَ بَلَاغِ مَالِكٍ هَذَا وَلَكِنَّهُ صَحِيحٌ من وجوه مختلفة وأحاديث شتى جميعها مَالِكٌ وَاللهُ أَعْلَمُ. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٢٤/ ٣٩٤

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئًا مَا نَسِيتُهُ، قَالَ: مَا قَبَضَ اللهُ نَبِيًّا إِلاَّ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ، ادْفِنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ"(١).

قلت: ومحل الشاهد هنا هو تَذاكُر الصحابة فيما بينهم في مكان دفنه ﷺ، وكيفية الصلاة عليه، وهل يدفن في شَق أو في لحد، حتى هداهم الله إلى ما وصلوا إليه: من الصلاة عليه ﷺ أرسالًا من دون إمام، الرجال، ثم النساء، ثم الصبيان، ودفنه في مكانه الذي فيه قُبض (في حجرة عائشة رضي الله عنها)، وحَفْرهم له ﷺ لَحْدًا. كل هذا وغيره أحيته المُذاكرة، فأحيت ما سمعه أبو بكر من رسول الله ﷺ في سنة دفنه ﷺ، وكذا كيفية الصلاة عليه، وغير ذلك.

٥- تذاكروا في الجنة والنار، وفي الرجال والنساء أيهما أكثر في الدنيا وفي الآخرة، وفي الجنة وفي النار؟

أخرج مسلم في صحيحه عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: إِمَّا تَفَاخَرُوا وَإِمَّا تَذَاكَرُوا: الرِّجَالُ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرُ أَمِ النِّسَاءُ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَوَ لَمْ يَقُلْ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَأِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعْزَبُ؟»(٢).

---

(١) سنن الترمذي في الجنائز، باب ما جاء في دفن النبي ﷺ ٢/ ٣٢٩ رقم ١٠١٨ وفي الشمائل المحمدية ٢٢٣ رقم ٣٧٩ وقال: حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُلَيْكِيُّ يُضَعَّفُ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ. والسنن الكبرى للنسائي، في وفاة النبي ﷺ باب أين حُفر له ﷺ ٦/ ٣٩٨ رقم ٧٠٨٤ وسنن ابن ماجه في الجنائز، باب ذكر وفاة النبي ﷺ ودفنه ٢/ ٥٠٥ رقم ١٦٢٨ ومسند أحمد ٣٩/ ٩ رقم ٢٣٥٩٩ ومسند البزار ١/ ٧٠ رقم ١٨ وقال ابن حجر في الفتح: رواه الترمذي في الشمائل والنسائي في الكبرى من طريق سالم بن عبيد الأشجعي الصحابي عن أبي بكر الصديق ، إسناده صحيح لكنه موقوف.

(٢) صحيح مسلم في صفة القيامة والجنة والنار، باب في أول زمرة تدخل الجنة ٤/ ٢١٧٨ رقم ٢٨٣٤ ومسند أحمد ١٢/ ٦٤ رقم ٧١٥٢ وغيرهما.

قلت: تذاكر الصحابة هنا في أمر من أمور الدنيا والآخرة – في الجنة والنار، وفي الرجال والنساء أيهما أكثر في الدنيا وفي الآخرة، وفي الجنة وفي النار- ولا ريب فهذا أمر إحصاؤه من الصعوبة بمكان، والقول فيه من غير وحي نوع من التَّخرص والرجم بالغيب، ومن ثم أثمرت المذاكرة عن إجابة شافية قاطعة أن أعداد النساء أكثر من أعداد الرجال في الدنيا وفي الآخرة، وفي الجنة وفي النار، كما في حديث أبي هريرة السابق، فتأمل!!.

أضف إلى ذلك أن عقول الصحابة بنت استنتاجاتها بعد ذلك بناء على النَّص، قال القاضي: كان عند العذري: " أعزب" وليس بشيء، وظاهر احتجاجه على أنّ النساء أكثر فى الجنة؛ لأنّه إذا كانت هذه الزُّمرة والنساء مثلاهم ومَن عَداهم أقلة أن يكون النساء مثلهم، دل على كثرتهم، وأنهم أكثر من الرجال في الجنة، وجاء في أهل النار أن أكثرهم النساء[1]، فخرج من جملة هذا أن أكثر بنى آدم النساء، إذ هم أكثر أهل الجنة وأهل النار وهذا كله في الآدميات (من نساء الدنيا)، وإلا فقد جاء أن للواحد من أهل الجنة من الحوريات العدد الكثير[2].

٦- تَذَاكَرُوا عِدَّةَ الْمُتَوَفَّى عنها زَوْجُها تَضَعُ عِنْد وَفَاةِ زَوْجِهَا:

أخرج الترمذي والنسائي في سننيهما عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَابْنَ عَبَّاسٍ، وَأَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ تَذَاكَرُوا الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا الحَامِلَ تَضَعُ عِنْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَعْتَدُّ آخِرَ الأَجَلَيْنِ، وَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: بَلْ تَحِلُّ حِينَ تَضَعُ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَا مَعَ ابْنِ أَخِي، يَعْنِي أَبَا سَلَمَةَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ ﷺ،

(١) عن ابْنَ عَبَّاسٍ، قال: قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» صحيح البخاري في النكاح، باب كفران العشير وهو الزوج، رقم ٥١٩٨ وصحيح مسلم في الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، رقم ٢٧٣٧

(٢) إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم للقاضي عياض ٨/ ٣٣٦ بتصرف يسير.

فَقَالَتْ: قَدْ وَضَعَتْ سُبَيْعَةُ الأَسْلَمِيَّةُ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا بِيَسِيرٍ، فَاسْتَفْتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ «فَأَمَرَهَا أَنْ تَتَزَوَّجَ» ولفظ النسائي " تَذَاكَرُوا عِدَّةَ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا تَضَعُ عِنْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا»(١). وأخرجه البخاري من دون ذكر لفظة المذاكرة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: " قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ جَالِسٌ عِنْدَهُ، فَقَالَ: أَفْتِنِي فِي امْرَأَةٍ وَلَدَتْ بَعْدَ زَوْجِهَا بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: آخِرُ الأَجَلَيْنِ، قُلْتُ أَنَا: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [سورة الطلاق:٤] [الطلاق: ٤]، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَا مَعَ ابْنِ أَخِي - يَعْنِي أَبَا سَلَمَةَ - فَأَرْسَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ غُلاَمَهُ كُرَيْبًا إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ يَسْأَلُهَا، فَقَالَتْ: «قُتِلَ زَوْجُ سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيَّةِ(٢) وَهِيَ حُبْلَى، فَوَضَعَتْ بَعْدَ مَوْتِهِ بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَخُطِبَتْ فَأَنْكَحَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَكَانَ أَبُو السَّنَابِلِ فِيمَنْ خَطَبَهَا»(٣)، قلت: فهذا مجلس آخر من مجالس المذاكرة الجَمعي والذي ضم بين جنباته صحابة وتابعين، تناولوا فيه أمرًا فقهيًا متعلق بعدة الحامل المتوفى عنها زوجها، تضع عند وفاة زوجها. وفيه أيضًا كما قال الخطابي: " في قول أبي هريرة: أنا مع ابن أخي، دليل على أن للتابعي أن يدخل مع الصحابي في الاختلاف"(٤).

---

(١) سنن الترمذي، في الطلاق، باب ما جاء في الحامل المتوفى عنها زوجها ٣/ ٤٩١ رقم ١١٩٤ وقال: "حَسَنٌ صَحِيحٌ". وسنن النسائي الصغرى، في الطلاق، باب عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ٦/ ١٩٢ رقم ٣٥١٢ قال في ذخيرة العقبى في شرح المجتبى: "رجال هذا الإسناد عندهم رجال الصحيح" محمد بن علي الإثيوبي ٢٩/ ٢٤٧.

(٢) هو سعدُ بنُ خولةَ، وقد مات بمكة في حجة الوداع.

(٣) صحيح البخاري في التفسير، بَابُ {وَأُولاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} (الطلاق: ٤) ٦/ ١٥٥ رقم ٤٩٠٩ وصحيح مسلم في الطلاق، باب باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل ٢/ ١١٢٢ رقم ١٤٨٤ واللفظ للبخاري.

(٤) أعلام الحديث شرح صحيح البخاري ٣/ ١٨١٩ ٩٠٢ ت: د. محمد آل سعود، نشر جامعة أم القرى، ط: ١/ ١٤٠٩هـ.

٧- تَذَاكَرُوا المَلَاعِنَ[١] عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

أخرج البخاري في صحيحه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ذُكِرَ التَّلَاعُنُ عِنْدَ النَّبِي ﷺ، فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ فِي ذَلِكَ قَوْلًا ثُمَّ انْصَرَفَ، وَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ يَشْكُو أَنَّهُ وَجَدَ مَعَ أَهْلِهِ رَجُلًا، فَقَالَ عَاصِمٌ: مَا ابْتُلِيتُ بِهَذَا إِلَّا لِقَوْلِي، فَذَهَبَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي وَجَدَ عَلَيْهِ امْرَأَتَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مُصْفَرًّا، قَلِيلَ اللَّحْمِ، سَبِطَ الشَّعَرِ، وَكَانَ الَّذِي ادَّعَى عَلَيْهِ أَنَّهُ وَجَدَهُ عِنْدَ أَهْلِهِ آدَمَ خَدِلًا، كَثِيرَ اللَّحْمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ بَيِّنْ» فَوَضَعَتْ شَبِيهًا بِالرَّجُلِ الَّذِي ذَكَرَ زَوْجُهَا أَنَّهُ وَجَدَهُ عِنْدَهَا، فَلاَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُمَا، فَقَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ فِي المَجْلِسِ: هِيَ الَّتِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ رَجَمْتُ أَحَدًا بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ رَجَمْتُ هَذِهِ» فَقَالَ: لاَ، تِلْكَ امْرَأَةٌ كَانَتْ تُظْهِرُ فِي الإِسْلاَمِ السُّوءَ"، وأخرجه عمر بن شبة عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: تَذَاكَرُوا الْمَلَاعِنَ عِنْدَ رَسُولِ ﷺ فَقَالَ عَاصِمٌ ..."[٢].

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

قلت: أظهرت تلك المذاكرة عدة فوائد، أهمها:

١- تَذَاكَرَ الصحابة في حضرة رسول الله ﷺ التَّلاعن، فقال بعضهم في ذلك قولًا ثم انصرف، ومنهم من اشتكى أنه وجد مع امرأته رجلًا، ولا يدري ماذا يفعل حيث لا شهود، ولا إقرار؛ ولأنه متقيد بحكم الشرع لا يتعداه.

٢- وضعت المرأة حملها، وجاء النَّعت مُصَدقًا لكلام زوجها (عُويمر) كما في

(١) قال ابن الأثير: "جَمْع مَلْعَنَة، وَهِيَ الفَعْلة الَّتِي يُلْعَن بِهَا فاعِلُها، كَأَنَّهَا مَظِنَّة لِلَّعْن وَمَحَلٌّ لَهُ. واللِّعَان والمُلَاعَنة: اللَّعْن بين اثنين فصاعِدًا". النهاية في غريب الحديث ٤/ ٢٥٥ قال الجرجاني: "اللعان: هي شهادات مؤكدة بالأيمان، مقرونة باللعن، قائمة مقام حد القذف في حقه، ومقام حد الزنا في حقها". التعريفات ص ١٩٢.

(٢) صحيح البخاري في الحدود، باب مَنْ أَظْهَرَ الفَاحِشَةَ وَاللَّطْخَ وَالتُّهَمَةَ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ ٨/ ١٧٥ رقم ٦٨٥٦ وصحيح مسلم في الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها، رقم ١٤٩٧ وتاريخ المدينة لابن شبة ٢/ ٣٩١ واللفظ للبخاري.

الرواية، وَكَانَ الَّذِي ادَّعَى عَلَيْهِ أَنَّهُ وَجَدَهُ عِنْدَ أَهْلِهِ آدَمَ خَدِلًا (ممتلئ الساقين غليظًا) كَثِيرَ اللَّحْمِ، ومع ذلك لم يرجمها رسول الله ﷺ.

قال المهلب: هذا الحديث أصل في أنه لا يجوز أن يحد أحد بغير بينة. وإن اتهم بالفاحشة، ألا ترى أنه ﷺ قد وَسم ما في بطن المرأة المُلَاعَنة بالمكروه وبغيره، فجاءت به على النَّعت المكروه بالشبه للمتهم بها، فلم يُقم عليها الحد بالدليل الواضح إذ كان ذلك خلاف ما شرع الله، فلا يجوز أن تتعدى حدود الله، ولا يُستباح دم ولا مال إلا بيقين لا شك فيه، وهذه رحمة من الله تعالى بعباده، وإرادة الستر عليهم والرفق بهم ليتوبوا (١).

٣- لم يرد اسم المرأة في المذاكرة، وإنما ورد نعتها سترًا عليها، قال ابن حجر: "ولم أقف على اسم المرأة المذكورة فكأنهم تعمدوا إبهامها سترا عليها"(٢) ... إلى آخر ذلك من مجالس تذاكر الصحابة رضوان الله عليهم فيما يُشْكِل عليهم في الدنيا من مسائل العلم، وفهم القرآن الكريم والسنة النبوية، وصحة الأحاديث النبوية، فهناك العديد من المسائل التي عقدوا لها المجالس لمذاكرتها وتدارسها، فتذاكروا الساعة، والمهدي، والقَدَر، والجُدود، والنساء ... فكانوا قدوات لمن بعدهم ومُثل تُحتذى في الصبر على تعلم العلم ومذاكرته، وتعليمه.

القسم الرابع: مُذاكرة النساء من الصحابيات والتابعيات فمن بعدهنَّ، وأثره في إحياء الحديث النبوي وحفظه:-

دور النساء في نقل السنة معروف، وأثره مشاهد لا ينكر ضوؤه إلا من بعينيه رَمَد، فقد أورد **ابن** حجر في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة ألف وخمسمائة واثنين وعشرين ترجمة لأسماء وكنى النساء.

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٨/ ٤٨.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٢/ ١٨١.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وترجم محمد بن سعد في كتابه الطبقات الكبرى في الجزء الثامن تحت باب: تسمية النساء المسلمات والمهاجرات من قريش والأنصاريات المبايعات وغرائب نساء العرب وغيرهم، لتسع وعشرين وستمائة راوية.

ونفى الإمام الذهبي أن تكون هناك راوية من النساء اتهمت بالكذب على رسول الله ﷺ فضلًا عن أن تكذب، فقال: "وَمَا علمت فِي النِّسَاء من اتهمت وَلَا من تركوها"(١). ولا يعْزُب عنا أن تسمية كتب التراجم بكتب الرجال، وكذا تسمية علم الرجال بهذا الاسم هو من باب تغليب الذكور على الإناث.

من خلال ذلك أسوق بعض النماذج التي تبين عقد الصحابيات وغيرهن مجالس لمذاكرة الحديث النبوي وما التبس عليهنَّ من مسائل العلم، ومكثهم الوقت الطويل في مذاكرة العلم وتعليمه من غير ملل ولا ضجر، رغم الأعباء الملقاة عليهنَّ من تربية النشء، وأمور الحمل والولادة، وسياسة شؤون البيت وغير ذلك، بيانها التالي:

١- مشاركة المرأة زوجها في مجلس المذاكرة:

أخرج أحمد في **مسنده** والطبراني في معجمه عن خَوْلَةَ بِنْتَ قَيْسٍ امْرَأَةَ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ ﷺ يُذَاكِرُ حَمْزَةَ الدُّنْيَا فَقَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ فَإِنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا بُورِكَ لَهُ فِيهَا، وَرُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِي مَالِ اللهِ وَمَالِ رَسُولِهِ لَهُ النَّارُ يَوْمَ يَلْقَاهُ» وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ «يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وفي لفظ لأحمد: (فَتَذَاكَرَا الدُّنْيَا)، ولأحمد رواية أخري تبين أن حمزة ﷺ هو من ذَاكر رسول الله، فعَنْ خَوْلَةَ، أَنَّهَا سَمِعَتْ حَمْزَةَ يُذَاكِرُ النَّبِيَّ ﷺ الدُّنْيَا"(٢). وفي لفظ للطبراني وابن أبي عاصم أن النبي ﷺ، وحمزة، وزوجه

(١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٤/ ٦٠٤ ت: علي البجاوي، نشر دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط: ١/ ١٣٨٢ هـ.

(٢) مسند أحمد ٤٤/ ٦٧٠ رقم ٢٧٠٥٤ و٢٧٠٥٥ والمعجم الكبير للطبراني ٢٤/ ٢٢٩ رقم ٥٨٢ ومسند الحميدي ١/ ٣٤٧ رقم ٣٥٦ واللفظ له، وشعب الإيمان للبيهقي ١٣/ ٥٢٢ رقم ١٠٧١٩ إسناده أحمد

خولة تذاكروا الدنيا جميعًا كما في لفظ هذه الرواية: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى حَمْزَةَ وَكَانَتْ خَوْلَةُ امْرَأَةَ حَمْزَةَ فَذَكَرُوا الدُّنْيَا"(١).

قلت: بينت الرواية أن النبي ﷺ عقد مجلسًا للمذاكرة مكون منه ﷺ وحمزة وزوجته خولة –رضى الله عنهما– تذاكروا فيه الدنيا وكيفية الحذر من فتنها.

٢- عَقْدهنَّ مجالس لمذاكرة الحديث النبوي والفقه في بيوتهنَّ إلى أوقات متأخرة من الليل:

أخرج ابن عبد البر في جامعه عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: لَقَدْ أَتَيْنَا أُمَّ الدَّرْدَاءِ(٢) فَتَحَدَّثْنَا عِنْدَهَا فَقُلْنَا: أَمْلَلْنَاكِ يَا أُمَّ الدَّرْدَاءِ، فَقَالَتْ: مَا أَمْلَلْتُمُونِي لَقَدْ طَلَبْتُ الْعِبَادَةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَمَا وَجَدْتُ شَيْئًا أَشْفَى لِنَفْسِي مِنْ مُذَاكَرَةِ الْعِلْمِ أَوْ قَالَ: مُذَاكَرَةُ الْفِقْهِ"، وفي تاريخ دمشق عن عون بن عبد الله قال: جلسنا إلى أم الدرداء فقلنا لها أمللناك فقالت أمللتموني لقد طلبت العبادة في كل شيءٍ فما أصبتُ لنفسي شيئًا أشْفى من مُجالسة العُلماء ومُذاكَرتهم(٣)، ورواه الخطيب في التاريخ بلفظ ... فما وجدتُ شيئًا أشفى لصدري، ولا أحرى أن أصيب بِهِ الَّذِي أريد من مجالس الذكر(٤)، قلت: عَقدت أم الدرداء هذه التابعية العالمة الدمشقية الجليلة مجالس لمذاكرة الحديث

صحيح، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابية الحديث، فقد روى لها البخاري، ويقال لها أيضًا: خولة بنت ثامر. قاله الأرنؤوط.

(١) المعجم الكبير ٢٤/ ٢٣٠ رقم ٥٨٥ والآحاد والمثاني لأبي بكر بن أبي عاصم ٦/ ٥٦ رقم ٣٢٦٠.

(٢) قال المِزيُّ : (أم الدرداء الصغرى، زوج أَبي الدَّرْدَاء، اسمها هجيمة، ويُقال: جهيمة بنت حيي، ويُقال: بنت حي الأوصابية. وقد تزوج أبو للدرداء باثنتين يقال لهما أم الدرداء، الصغرى تابعية وهي التي معنا، والكبرى صحابية واسمها خيرة بنت أبي حدرد) قلت: والدرداء ابنته، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٣٥/ ٣٥٣ بتصرف.

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٤٢٨ رقم ٦٤٠ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني ٤/ ٢٤١ وتاريخ دمشق لابن عساكر ٧٠/ ١٥٦

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٦/ ٦٢٢ رقم ٧٧٥٧

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

والفقه مع طلابها، سواء كانوا رجالًا أم نساءً -ولا يُدرى كم عدد تلك المجالس- تؤدي كل ذلك في غير ما ملل ولا كلل، حتى يغلبها التعب والإرهاق، فكانت إذا ما تعبت اتكأت عن جنبها، فلاحظ طلابها ذلك عليها، فقالوا: "أمللناك"، فقالت قولة عظيمة صارت وقودًا يحرك الكسالى من طلبة العلم ومعلميه: "مَا أَمْلَلْتُمُونِي لَقَدْ طَلَبْتُ الْعِبَادَةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَمَا وَجَدْتُ شَيْئًا أَشْفَى لِنَفْسِي مِنْ مُذَاكَرَةِ الْعِلْمِ، أَوْ قَالَ: مُذَاكَرَةُ الْفِقْهِ"!.

٣-عَقد أمهات المؤمنين مجلسًا للمذاكرة في مرض رسول الله ﷺ الأخير لاستنباط حكم شرعي:

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ(١)، وَأُمَّ سَلَمَةَ(٢) ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِيكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»، وأخرجه أحمد في مسنده عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ، وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ، فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ أَحْمَدُ: قَالَ وَكِيعٌ: **إِنَّهُمْ تَذَاكَرُوا عِنْدَ النَّبِيِّ** ﷺ فِي مَرَضِهِ، فَذَكَرَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَأُمُّ حَبِيبَةَ كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا فِي أَرْضِ الْحَبَشَةِ"(٣).

---

(١) أم حبيبة رملة بنت أبي سُفْيَان زوج النَّبِيّ ﷺ، وتوفيت سنة أربع وأربعين، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٤/ ١٩٢٩

(٢) أم سلمة زوج النَّبِيّ ﷺ، هند بنت أبي أمية المعروف بزاد الراكب، توفيت سنة ستين، المرجع السابق ٤/ ١٩٢١

(٣) صحيح البخاري في مناقب الأنصار، باب هجرة الحبشة ٥/ ٥٠ــ رقم ٣٨٧٣ وصحيح مسلم في المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ١/ ٣٧٥ رقم ٥٢٨ ومسند أحمد ٤٠/ ٢٩٦ رقم ٢٤٢٥٢ وغيرهم.

قلت: عُقد مجلس المذاكرة هذا في حجرة عائشة رضي الله عنها في مرض رسول الله ﷺ الأخير، وذلك بعد أن أذن له نساؤه أن يُمرض في بيت عائشة رضي الله عنها وكان سبب عقد ذلك المجلس هو ما كان يضطرم في نفس أمهات المؤمنين من توقع وفاة النبي ﷺ في ذلك المرض، وماذا سيحدث لو توفاه الله كيف سيدفن؟ وكيف يكون قبره، ومسجده؟ وكانت السيدة أم حبيبة وأم سلمة قد هاجرتا إلى الحبشة فيمن هاجر، وقد رأتا في كنيسة هناك تسمى "ماريا" تماثيل لأناس صالحين يعظمهم الناس ويسجدون رجاء الخير والنفع منهم، وبينما هذه الأفكار تجول في أذهانهما قفزت صورة الكنيسة وما رأتا فيها إلى مخيلتهما، فذكرتا لرسول الله ﷺ ما رأتا، فتنبه النبي ﷺ إلى مرادهما وما يقصدانه، فقال مخاطبًا أصحابه وأمته محذرًا أن يحدث معه مثلما حدث مع هؤلاء الأنبياء والصالحين: "إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ؛ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". فتأمل أخي القارئ كيف أثمرت تلك المذاكرة عن حكم شرعي عصم الله به الأمة من تقديس وتعظيم غبير الله، واتخاذ قبر نبيهم وثنًا يُعبد من دون الله.

٤-عَقد الصحابةُ عِنْدَ عَائشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْها مجلسًا تَذَاكَرُوا فيه مَا يَقْطعُ الصَّلاةَ:

أخرج الطحاوي في شرح معاني الآثار عَنْ مَسْرُوقٍ، أَنَّهُ قَالَ: **تَذَاكَرُوا عِنْدَ عَائِشَةَ** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ، فَقَالُوا: يَقْطَعُ الصَّلَاةَ، الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ وَالْمَرْأَةُ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «لَقَدْ عَدَلْتُمُونَا[1] بِالْكِلَابِ وَالْحَمِيرِ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي إِلَى وَسَطِ السَّرِيرِ وَأَنَا عَلَيْهِ مُضْطَجِعَةٌ، وَالسَّرِيرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، فَتَبْدُو لِي الْحَاجَةُ فَأَكْرَهَ أَنْ أَجْلِسَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأُوذِيهُ، فَأَنْسَلُّ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ انْسِلَالًا». وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ عَائِشَةَ، ذُكِرَ عِنْدَهَا مَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الكَلْبُ

(١) أَرَادَتْ بِخِطَابِهَا ذَلِكَ ابْنَ أُخْتِهَا عُرْوَةَ وَأَبَا هُرَيْرَةَ،وَأَبَا ذَرٍّ. طرح التثريب في شرح التقريب ٢/ ٣٩٤

وَالحِمَارُ وَالمَرْأَةُ، فَقَالَتْ: شَبَّهْتُمُونَا بِالحُمُرِ وَالكِلاَبِ...الحديث"، ولمسلم عن عَائِشَةُ: مَا يَقْطَعُ الصَّلاَةَ؟ قَالَ: فَقُلْنَا الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ. فَقَالَتْ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ لَدَابَّةُ سَوْءٍ[1] لَقَدْ رَأَيْتُنِي بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَرِضَةً، كَاعْتِرَاضِ الْجَنَازَةِ وَهُوَ يُصَلِّي»[2].

قلت: أسفر مجلس المذاكرة هذا عن تصحيح السيدة عائشةرضي الله عنها مفهوم أن مرور المرأة بين يدي المصلي يقطع الصلاة، أي يبطلها كما هو ظاهر المعني، واستدركت على الصحابة ما فهموه من التسوية بين المرأة والكلب والحمار في قطع الصلاة بمرورها بين يدي المصلي، قال زين الدين العراقي: إِنَّ عَائِشَةَ لَمْ تُنْكِرْ وُرُودَ الْحَدِيثِ وَلَمْ تَكُنْ لِتُكَذِّبَ أَبَا هُرَيْرَةَ وَأَبَا ذَرٍّ، وَإِنَّمَا أَنْكَرَتْ كَوْنَ الْحُكْمِ بَاقِيًا هَكَذَا، فَلَعَلَّهَا كَانَتْ تَرَى نَسْخَهُ بِحَدِيثِهَا الَّذِي ذَكَرَتْهُ[3]، أَوْ كَانَتْ تَحْمِلُ قَطْعَ الصَّلَاةِ عَلَى مَحْمَلٍ غَيْرِ الْبُطْلَانِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا رَأَتْ تَغْيِيرَ الْحُكْمِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَرْأَةِ وَإِلَى الْحِمَارِ أَيْضًا، فَقَدْ حَكَى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ، وَهَذَا كَقَوْلِ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ وَاللهُ أَعْلَمُ"[4].

وقال البغوي: في هذه الأحاديث دليل على أن المرأة إذا مرت بين يدي المصلي لا تقطع صلاته،

---

(١) الاستفهام على سبيل الإنكار، أي: ليست المرأة دابة سوء.

(٢) شرح معاني الآثار للطحاوي ١/ ٤٦١ رقم ٢٦٥٤ تحقيق: محمد النجار وآخرين، الناشر: عالم الكتب، ط: الأولى ١٤١٤ هـ. وإسناده صحيح. وصحيح البخاري في الصلاة، باب لا يقطع الصلاة شيء ١/ ١٠٩ رقم ٥١٤ وصحيح مسلم في الصلاة، باب الاعتراض بين يدي المصلي ١/ ٣٦٦ رقم ٥١٢ ومسند أحمد ٤٣/ ٩٦ رقم ٢٥٩٢٩ وغيرهم.

(٣) قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَا يَقْطَعُ صَلَاةَ الْمُسْلِمِ شَيْءٌ إِلَّا الْحِمَارُ، وَالْكَافِرُ، وَالْكَلْبُ، وَالْمَرْأَةُ"، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَقَدْ قُرِنَّا بِدَوَابِّ سُوءٍ". رواه أحمد في مسنده ٤١/ ٩٨ رقم ٢٤٥٤٦ وإسناده ضعيف، قال ابن رجب في فتح الباري: هذا منقطع؛ راشد لَمْ يسمع من عَائِشَة بغير شك ٤/ ١٢٥ قلت: وفي متنه نكارة، والصحيح ما سلف ذكره في الأصل.

(٤) طرح التثريب في شرح التقريب ٢/ ٣٩٤

وعليه أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم، أن لا يقطع صلاة المصلي شيء مر بين يديه[١].

قلت: ومنهم من قال المراد بقطع الصلاة فيه قطعها عن الخشوع والتذكر، قال النووي: وَقَالَ مَالِكٌ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ ﷺ وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ: لَا تَبْطُلُ الصَّلَاةُ بِمُرُورِ شَيْءٍ مِنْ هَؤُلَاءِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ. وَتَأَوَّلَ هَؤُلَاءِ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْقَطْعِ نَقْصُ الصَّلَاةِ لِشُغْلِ الْقَلْبِ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَلَيْسَ الْمُرَادُ إِبْطَالُهَا[٢] ... إلخ ذلك. ومن أراد المزيد فليراجع كتب الفقه، ولكني قصدت هنا إبراز ثمار مذاكرة السيدة عائشة أم المؤمنين بعض الصحابة، واستدراكها عليهم ...إلخ ذلك من نماذج مذاكرة النساء وأثرها في إحياء الحديث النبوي وحفظه، مما لا يتسع المقام لحصره. فلعل الله أن ييسر لي أو لغيري بإفراد هذا القسم بالبحث في قابل الزمان.

المطلب الرابع: مذاكرة التابعين فمن بعدهم من المُحدثين وغيرهم، وأثرها في إحياء الحديث النبوي وحفظه:ـ

لا ريب أن المذاكرة استوت على سوقها، وأينعت ثمارها، وترسخت ضوابطها وقواعدها في عهد التابعين فمن بعدهم، يقول الششري: "والأخبار في مذاكرة أهل العلم وطلابه كثيرة، وما زالت المذاكرة سمتًا للمحصِّلين من العلماء والطالبين حتى صارت ختمًا يُطبَع في تراجمهم، فلا يكاد يفارق طرفُك الأوصاف المضافة إلى المذاكرة حين تطالع سِيَرهم: (حُسن المذاكرة)، (حلو المذاكرة)، (جميل المذاكرة)، (جليل المذاكرة)، (مليح المذاكرة)، (لطيف المذاكرة)، (عَذْب المذاكرة)، (طيِّب المذاكرة)، (كثير المذاكرة)، (واسع المذاكرة)، (حاضر المذاكرة)، (قوي المذاكرة)، (متين المذاكرة)، (مفيد المذاكرة)، (ممتع المذاكرة)، (حميد المذاكرة)،

(١) شرح السنة للبغوي ٢/ ٤٦١ رقم ٥٥٠ الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط: الثانية ١٤٠٣ هـ.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٤/ ٢٢٧

(لَسِن المذاكرة).. ومن أظرفها ما جاء في ترجمة أبي عبد الله ابن زمرك[1] (٧٩٣هـ) من أنه (شَرِه المذاكرة)"[2].

وهنا أسوق بعض النماذج الموضحة لذلك:

أولا: تذاكر التابعون فيما أشكل عليهم فهمه من مسائل العلم المختلفة:

١-تذاكروا في أبي بكر وعمر أيهما أفضل؟

أخرج أبو نعيم في تثبيت الإمامة عن ابْنَ أَبِي لِيَلَى، يُحَدِّثُ أَنَّهُمْ تَذَاكَرُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ عُطَارِدٍ: عُمَرُ خَيْرُهُمَا، قَالَ: فَقَالَ الْجَارُودُ: أَبُو بَكْرٍ خَيْرٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَى الْآخَرِ فَضَرَبَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْجَارُودِ فَقَالَ: «إِلَيْكَ عَنِّي»، وَقَالَ: «إِنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ ﷺ فِي كَذَا فِي كَذَا فِي كَذَا ثَلَاثًا، فَمَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ حَلَّ عَلَيْهِ مَا حَلَّ عَلَى الْمُفْتَرِي»[3].

٢-تذاكروا القيام عند الجنازة:

أخرج ابن أبي الجعد في مسنده عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: تَذَاكَرُوا الْقِيَامَ عِنْدَ الْجِنَازَةِ عِنْدَ عَلِيٍّ، فَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ: "مَا زِلْنَا نَفْعَلُهُ. قَالَ: صَدَقْتَ". ورواه الطبراني في الكبير بلفظ: فَقَالَ عَلِيٌّ: «صَدَقَ ذَاكَ، وَأَنْتُمْ شُهُودٌ»، وأخرجه الهيثمي بزيادة" فَقَالَ

(١) ابن زَمرك: محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصريحي، بغرناطة، ونشأ بها. راجع: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، لشهاب الدين التلمساني ٢/ ٨ الناشر: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٣٥٨ هـ.

(٢) طالب العلم والمذاكرة، مقالة لمشاري بن سعد الشثري، مجلة البيان العدد ٣٢٧ ذو القعدة ١٤٣٥هـ سبتمبر ٢٠١٤م. بتصرف.

(٣) كتاب الإمامة والرد على الرافضة للأصبهاني ٢٩٩ رقم ٥٤ الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: الأولى ١٤٠٧هـ

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

عَلِيٌّ: صَدَقْتَ؛ ذَاكَ وَأَنْتُمْ يَهُودُ[١].

٣- مذاكرة أبو يوسف مع الإمام مالك في: تحديد الصاع، والوقف، والأذان قبل الفجر:

ذكر في فيض الباري: " إن أبا يوسف قد ذَاكَرَ مع الإمام مالك في أربعة مسائل: في تحديد الصاع، والأذان قبل الفجر، والوقف، والرابعة لا أذكرها، وهي مذكورةٌ في شرح «الجامع الصغير». فلمَّا رَجَعَ من المدينة أَعْلَنَ في أول مَجْلِسٍ جَلَسَ: أني أَرْجِعُ في هذه المسائل الأربعة عن قول الإمام الهُمَام"[٢]. قلت: من ثمار المذاكرة المباركة رجوع الإمام مالك عن رأيه في أربعة مسائل في أول مجلس جلسه للفتيا بعد المذاكرة، وهذا فيه ما فيه من ورع العلماء، وتثبتهم، وتحريهم في فتواهم، ورجوعهم إلى الحق حتى وإن كان النصح ممن يخالفهم في المذهب كما رأينا، فإن أبا يوسف من شيوخ المذهب الحنفي، ومع ذلك لما ذاكره مالك رجع عن قوله لقول أبي يوسف.

٤- رحلة العلماء وقطعهم الفيافي والقفار في سبيل لقيا كبار أهل العلم من المحدثين ومذاكرتهم إياه:

أخرج الخطيب في تاريخ بغداد عن أبي بَكْر بْن زنجويه، يَقُولُ: "قدمت مصر، فأتيت أَحْمَد بْن صالح، فسألني من أين أنت؟ قلت: من بغداد، قَالَ: أين منزلك من منزل أَحْمَد بْن حنبل؟ قلت: أنا من أصحابه، قَالَ: تكتب لي موضع منزلك فإني أريد أوافي العراق حتى تجمع بيني وبين أَحْمَد بْن حنبل، فكتبت لَهُ فوافى أَحْمَد بْن صالح سنة اثنتي عشرة إِلَى عفان فسأل عني فلقيني، فَقَالَ: الموعد الَّذِي بيني وبينك؟ فذهبت بِهِ إِلَى أَحْمَد بْن حنبل، واستأذنت لَهُ، فقلت: أَحْمَد بْن صالح بالباب، فأذن لَهُ، فقام إليه ورحب بِهِ وقربه، وَقَالَ لَهُ: بلغني إنك جمعت حديث الزهري، فتعال نذكر ما روى الزهري عَنْ أصحاب رسول الله ﷺ **فجعلا يتذاكران** ولا يغرب أحدهما على الآخر

(١) مسند علي بن الجعد ٣١٥ رقم ٢١٤٢ تحقيق: عامر أحمد حيدر، نشر مؤسسة نادر ببيروت، ط: الأولى ١٤١٠هـ. والمعجم الكبير للطبراني ١٧/ ٢٥٢ رقم ٦٩٩ ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ٣/ ٢٨ رقم ٤١١٨ وقال: "رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ".

(٢) فيض الباري على صحيح البخاري، محمد أنور شاه الهندي ٣/ ٥٥٠ رقم ٢٣٣٤.

حتى فرغا، قَالَ: وما رأيت أحسن من **مذاكرتهما**، ثم قَالَ أَحْمَد بْن حنبل لأحمد بْن صالح: تعال حتى نذكر ما روى الزهري عَنْ أولاد أصحاب رسول الله ﷺ فجعلا يتذاكران ولا يغرب أحدهما على الآخر إِلَى أن قَالَ أَحْمَد بْن حنبل لأحمد بْن صالح: عند الزهري، عَنْ مُحَمَّد بْن جبير بْن مطعم، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن عوف، قَالَ النَّبِيّ ﷺ: " ما يسرني أن لي حمر النعم وأن لي حلف المطيبين "[1]، فَقَالَ أَحْمَد بْن صالح لأحمد بْن حنبل: **أنت الأستاذ وتذكر** مثل هَذَا، فجعل أَحْمَد بْن حنبل يبتسم ويَقُولُ: رواه عَنِ الزهري رجل مقبول، أو صالح: عَبْد الرَّحْمَن بْن إِسْحَاق، فَقَالَ: من رواه عَنْ عَبْد الرَّحْمَن؟ فَقَالَ: حدثناه رجلان ثقتان: إِسْمَاعِيل ابْن عُلَيَّةَ، وبشر بْن الْمُفَضَّل، فَقَالَ أَحْمَد بن صالح لأحمد بْن حنبل: سألتك بالله إلا أمليته عَلِيّ، فَقَالَ أَحْمَد: من الكتاب. فقام فدخل وأخرج الكتاب وأملى عَلَيْهِ،

فَقَالَ أَحْمَد بْن صالح لأحمد بْن حنبل: لو لم أستفد بالعراق إلا هَذَا الحديث كَانَ كثيرا، ثم ودعه وخرج [2].

قلت: وضح لنا مدى إدراك هؤلاء العلماء لأهمية المذاكرة وأثرها في إحياء الحديث النبوي، وحفظه وتثبيته، وأيضًا مدى إدراكهم لمنزلة العلماء، وحرصهم على مذاكرتهم ومدارستهم، مهما بلغ منهم الجهد والمشقة، وقطع الأميال، ومضي الساعات، كل ذلك في سبيل سماع سند حديث واحد كما قال أَحْمَد بْن صالح لأحمد بْن حنبل: "لو لم أستفد بالعراق، إلا هَذَا الحديث كَانَ كثيرا، ثم ودعه وخرج" نعم؛ إنها لذة المذاكرة، ونصرة السنة، ونشر العلم، وإحياء ما اندرس من الحديث، فجزاهم الله عنا خير الجزاء. ألا ما أحوج طلبة العلم رجالًا ونساء، شبابً وشيبة

(١) مسند أحمد بن حبل ٢/ ٣٠١ وصحيح ابن حبان ١٠/ ٢١٦ رقم ٤٣٧٣ عن عبد الرحمن بن عوف، والمعجم الكبير للطبراني ١١/ ٢٩٣ رقم ١١٧٧٨ والمستدرك للحاكم ٢/ ٢٣٩ رقم ٢٨٧٠ وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ". ووافقه الذهبي. قلت: وإسناد أحمد صحيح.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٥/ ٣١٩ رقم ٢١٥٦ وسير أعلام النبلاء للذهبي ٩/ ٥٢٣ وتهذيب الكمال للمزي ١/ ٣٥١

في زماننا إلى التبصر بسيرة هؤلاء الأفذاذ الأكارم، والاقتداء بهم في إحياء سنة نبيهم والذَّب عنها، حتى تتواصل الحلقات، وتدركهم البركات من رب الأرض والسماوات ... إلى آخر ذلك من موضوعات هذا البحث التي حاولت جاهدًا أن أجمعها وأنظمها ما استطعت إلى ذلك سبيلًا. فهذا جهد المُقل.

والله أسأل أن يكتب له القبول والنفع.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

الخاتمـــــة

الحمد لله رب العالمين الذي أعانني على تقديم فكرتي هذ الموسومة بـ (المُذَاكَرَةُ وَأَثَرُهَا فِي إِحْيَاءِ الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ وَحِفْظِهِ دِرَاسَةٌ فِي المَفْهُومِ والأَثَرِ والضَّوَابِط) والتي قد جَهِدت أن أبين من خلالها أن المذاكرة كانت حاضرة في المنهج التعليمي للنبي ﷺ وبقوة، وحاضرة في دائرة اهتمام السلف كذلك جيلًا بعد جيل -خاصة جيل الصحابة ﷺ، كما تناولت فيه منزلة المذاكرة، وحكمها الشرعي، وثمارها، وضوابطها، وأثرها التعليمي في حياة النبي ﷺ والصحابة رجالًا ونساء، والتابعين فمن بعدهم، ودورها في إحياء الحديث النبوي، وحفظه. وفي الختام إن وفقت فمن الله، وإن قصرت فقد نلت شرف المحاولة، والتعلم. وأختم بأهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات لهذا البحث.

أولا: النتائج

١ - المذاكرة كانت حاضرة في المنهج التعليمي للنبي ﷺ، والصحابة، والتابعين، فمن بعدهم، رجالًا ونساءً.

٢ - مارس السلف المذاكرة وطبقوها مع شيوخهم، وأقرانهم، وأترابهم، وتلامذتهم، والناس عامة، ليلًا، ونهارًا، حِلًا وترحالًا، ونبهوا على فضلها وأهميتها.

٣- كان للمذاكرة الأثر الأكبر في إحياء الحديث النبوي وحفظه، ونقده، وتمحيصه.

٤ - مارس السَّلف المذاكرة كما لم ولن يمارسها أحد بعدهم.

٥ - المتابع لمناهج التعليم في الواقع المعاصر يجدها تعتمد المذاكرة طريقًا لإحياء العلم وتثبيته وحفظه.

٦ - إحياء الحديث النبوي وما يتعلق به يتوقف على مذاكرته وضبطه، واندثاره واندراسه في ترك مذاكرته وحفظه.

٧- المذاكرة من فروض الكفايات التي يحُفظ بها العلم.

٨- الحاجة إلى المذاكرة مُلحة؛ لما جُبل عليه العقل البشري من النسيان، والحاجة الملحة إلى التذكر والتكرار.

٩- الحفظ كان هو الأساس في نقل السنة النبوية، وغيرها.

١٠- مشاركة النِّساء الرجال في نقل الحديث وضبطه، ومذاكرته، ومدارسته.

١١- أثمرت مذاكرة الحديث النبوي، عند السلف لذة جعلتهم يقضون الليل في مذاكرة العلم.

١٢- تَذَاكَر السلف في كل ما أشكل عليهم من مسائل العلم...إلخ ذلك من نتائج.

ثانيًا: التوصيات

أوصي بالآتي:

١- بعقد ندوات علمية ومؤتمرات وورش عمل، حول طرق المذاكرة وأهميتها، وضوابطها.

٢- بأن يُدرج منهج السلف في مذاكرة الحديث النبوي وغيره في مناهج التعليم.

٣- بتبني هيئة علمية، أو كُرسي من الكراسي البحثية، جمع المؤلفات، والأبحاث التي كتبت حول هذا الموضوع ونظمها في دورية علمية تصدر تباعًا.

٤- بإعادة الصياغة الأسلوبية لبعض المؤلفات في هذا المضمار؛ كي يتمكن طلاب العلم من فهما واستيعابها.

٥- أوصي القائمين على وضع برامج الأنشطة الطلابية داخل المدارس والجامعات بإدراج حلقات للمذاكرة داخل النشاط؛ لتدريب الطلاب على طُرقها، ومناهجها، ووسائلها، وأساليبها.

ثالثا: ثبت بأهم المراجع

- الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الظاهري، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- آداب الشافعي ومناقبه، لابن أبي حاتم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.
- أدب الدنيا والدين، للماوردي، الناشر: دار مكتبة الحياة، الطبعة: (د: ط) ت: ١٩٨٦ م.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، نشر: المكتب الإسلامي – بيروت ط: الثانية ١٤٠٥ هـ.
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، لشهاب الدين التلمساني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٥٨ ه
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلى معوض، الدار الكتب العلمية بيروت ط: ١/ ١٤١٥
- إصلاح غلط المحدثين، للخطابي، تحقيق: د. حاتم الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الثانية ١٤٠٥هـ.
- أعلام الحديث شرح صحيح البخاري، ت: د. محمد آل سعود، نشر: جامعة أم القرى، ط: الأولى ١٤٠٩هـ.
- أقصى الأمل والسُّول في علم حديث الرسول ﷺ، شهاب الدين الخُوَيِّي، تحقيق: نواف عباس حبيب المناور، رسالة ماجستير، الكويت، يونيو ٢٠١٥.
- إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، للقاضي عِياض تحقيق: د: يحْيَى إِسْمَاعِيل، نشر دار الوفاء للطباعة بمصر، ط: ١/ ١٤١٩ هـ.
- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام للذهبي، ت: بشار معروف، نشر: دار الغرب الإسلامي، ط: ١/ ٢٠٠٣م.

- تاريخ المدينة لابن شَبة، حققه: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد – جدة ١٣٩٩ هـ.

- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، المحقق: د: بشار معروف، ن: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: ١/ ١٤٢٢هـ.

- تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب، سليمان البُجَيْرَمِيّ، نشر دار الفكر ١٤١٥هـ.

- التدوين في أخبار قزوين، للرافعي، المحقق: عزيز الله العطاردي، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: ١٤٠٨هـ.

- تذكرة الحفاظ للذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ت: عبد القادر الصحراوي، ن: مطبعة فضالة – المحمدية، المغرب، ط: ١/ ١٩٦٦

- التعريفات للجرجاني، ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، ن: دار الكتب العلمية بيروت، ط: ١/ ١٤٠٣هـ.

- تغليق التعليق على صحيح البخاري، المحقق: سعيد القزقي، نشر المكتب الإسلامي، دار عمار – بيروت، عمان – الأردن، ط: الأولى ١٤٠٥هـ.

- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد رضا، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م.

- التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، الحسن الصاغاني، نشر: مطبعة دار الكتب، القاهرة.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب عام النشر:

١٣٨٧هـ.

- التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ، ت: د. محمَّد إبراهيم، نشر: مكتبة دار السلام، الرياض، ط: ١، ١٤٣٢ه.

- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ت: أبي الأشبال الزهيري، ن: دار ابن الجوزي، السعودية، ط: ١/ ١٤١٤هـ.

- الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، ط: الثانية ١٣٨٤هـ.

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: د. محمود الطحان، نشر: مكتبة المعارف – الرياض.

- الجرح والتعديل، لإبراهيم بن عبد الله اللاحم، نشر: مكتبة الرشد، السعودية، ط: الأولى ١٤٢٤هـ.

- جزء من حديث أبي بكر أحمد بن علي بن لال عن شيوخه – مخطوط، المكتبة الشاملة.

- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، للماوردي، تحقيق: علي معوض –وعادل عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤١٩ هـ.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ.

- الذخيرة لأبي العباس القرافي، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

- سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ن: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي (د: ت)

- سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ط: ١/ ١٤١٢ هـ.

- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: مجموعة بإشراف الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة ط: الثالثة ١٤٠٥ هـ.

- الشَّافِي فِيْ شَرْح مُسْنَد الشَّافِعي لابْنِ الأثِيْر، تحقيق: أحمد بن سليمان - أبي تميم يَاسر بن إبراهيم، الناشر: مَكتَبَةَ الرُّشْدِ، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط: ١/ ١٤٢٦ هـ.

- شرح (التبصرة والتذكرة = ألفية العراقي) للعراقي، ٢/ ١٣ المحققان: عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين فحل، نشر دار الكتب العلمية ببيروت لبنان، ط: الأولى ١٤٢٣هـ.

- شرح السنة للبغوي، ت: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ن: المكتب الإسلامي بدمشق، بيروت، ط: ٢/ ١٤٠٣هـ.

- شرح صحيح البخاري لابن بطال، لأبي الحسن بن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط: الثانية ١٤٢٣هـ.

- شرح معانى الآثار للطحاوي، تحقيق: محمد النجار، وآخرين، الناشر: عالم الكتب، ط: الأولى ١٤١٤ هـ.

- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد اليمني، تحقيق: د حسين العمري، وآخرين، نشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان) الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

- صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢ه.

- صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت (د: ت).

- طالب العلم والمذاكرة، مقالة لمشاري بن سعد الشثري، مجلة البيان العدد ٣٢٧ ذو القعدة ١٤٣٥ه

- طبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر ١٣٩٤هـ.

- طبقات الحنابلة، لأبي الحسين ابن أبي يعلى، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار

المعرفة – بيروت (د: ت).

– شرح الموقظة للإمام الذهبي، لمحمود المنياوي، الناشر: المكتبة الشاملة، مصر، الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ.

– طرح التثريب في شرح التقريب ٢/ ٣٩٤، الطبعة المصرية القديمة، (د.ت).

– العَرف الشَّذي شرح سنن الترمذي، لمحمد أنور شاه الهندي، تصحيح: الشيخ محمود شاكر، نشر: دار التراث العربي – بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٢٥ هـ.

– العلل لابن أبي حاتم، تحقيق: فريق من الباحثين، الناشر: مطابع الحميضي، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ.

– غريب الحديث لابن الجوزي، ت: د. عبد المعطي القلعجي، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١/ ١٤٠٥

– فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، الناشر: دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩هـ.

– فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، للسخاوي، تحقيق: علي حسين علي، نشر مكتبة السنة بمصر، ط: ١/ ١٤٢٤هـ.

– الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، ت: عادل الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية، ط: الثانية ١٤٢١هـ.

– فيض الباري على صحيح البخاري، ت: محمد الميرتهي، ن: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط: ١/ ١٤٢٦ هـ.

– فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، نشر: المكتبة التجارية – مصر، ط: ١/ ١٣٥٦هـ.

– كتاب الإمامة والرد على الرافضة للأصبهاني، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: الأولى ١٤٠٧هـ.

– الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، لمحمد بن يوسف الكرماني، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، طبعة أولى ١٣٥٦هـ.

- اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين المصري، نشر: دار النوادر، سوريا، ط: الأولى ١٤٣٣ه.

- لسان العرب لمحمد بن منظور، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ.

- المدخل إلى السنن الكبرى، للبيهقي، المحقق: د. محمد الأعظمي، نشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت.

- المدخل إلى علم السنن للبيهقي، الناشر: دار اليسر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: الأولى ١٤٣٧ هـ.

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعبيد الله المباركفوري، الناشر: إدارة البحوث العلمية – الجامعة السلفية – بنارس الهند، ط: الثالثة ١٤٠٤ هـ.

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ملا على القارئ، نشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، ط: ١/ ١٤٢٢هـ.

- مستخرج أبي عوانة، تحقيق: أيمن الدمشقي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ط: الأولى ١٤١٩هـ.

- مستدرك الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤١١.

- مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين أسد، نشر: دار المأمون للتراث – دمشق، ط: ١/ ١٤٠٤

- مسند أحمد، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: ١/ ١٤٢١ هـ.

- مسند الدارمي، تحقيق: د: مرزوق الزهراني. ط: الأولى ١٤٣٦ هـ.

- المسند للشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤٠٠هـ.

- المصنف لابن أبي شيبة، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩

- معجم العين للخليل ابن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائ، نشر: دار ومكتبة الهلال (د: ت).

- المعجم الكبير للطبراني، المحقق: حمدي السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة ط: ٢

- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، نشر: عالم الكتب، ط: الأولى ١٤٢٩ هـ.

- معرفة الصحابة، تحقيق: عادل العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، ط: الأولى ١٤١٩هـ.

- معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، المحقق: نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت ١٤٠٦هـ.

- معرفة علوم الحديث، المحقق: السيد معظم حسين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية ١٣٩٧هـ.

- المغازي للواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي – بيروت، ط: ٣ – ١٤٠٩/ ١٩٨٩

- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط: الثالثة ١٤٠٩هـ.

- المنتقى شرح الموطأ، لأبي الوليد سليمان القرطبي، الناشر: مطبعة السعادة – مصر، ط: الأولى ١٣٣٢هـ.

- مسند علي بن الجعد، تحقيق: عامر أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة نادر – بيروت، ط: الأولى ١٤١٠هـ.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثانية ١٣٩٢هـ.

- الموقظة في علم مصطلح الحديث، للإمام الذهبي، عناية: عبد الفتاح أبو غُدّة، نشر مكتبة

المطبوعات الإسلامية بحلب، ط: ٢/ ١٤١٢ هـ.

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ت: علي البجاوي، ن: دار المعرفة للطباعة، بيروت – لبنان، ط: ١/ ١٣٨٢ هـ.

- نصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، ط: الأولى ١٤١٨ هـ.

- النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى، لأحمد المكي أقلاينة - مطبعة طوب بريس - الرباط ٢٠٠٢

- نَظْم علوم الحديث المُسماة: «أقصى الأمل والسُّول في علم حديث الرسول ﷺ» لشهاب الدين محمد بن أحمد الخُوَيِّي، تحقيق: نواف عباس المناور، الكويت ٢٠١٥م.

- النفح الشذي في شرح جامع الترمذي لابن سيد الناس، الناشر: دار العاصمة، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى ١٤٠٩ ه.

والحمد لله رب العالمين

يسر الله إتمامه في يوم الاثنين ١ رمضان ١٤٤٠ه. الموافق ٢٠١٩/٥/٦

وكتبه: أبو يَحْيَى محمد إسماعيل